المجموعة الثالثة من أسماء الله الحسنى الداخلة في باب الهبة والعطاء

25 ـ الوهاب

مقدمة

نَنْتَقِلُ إلى الصنف الثالث من أسماء اللَّه الحُسْنَى، وهو ما يَدْخُلُ في باب الهِبَةِ والعَطَاءِ، إنّنا إذا أمْعنّا النظر في نفس هٰذا الإنسان المخلوق العَجيب، وَجَدْنَاهُ مُزَوَّداً بطبائعَ كثيرة منها: الطَمَعُ الشديدُ بتَحْصِيلِ كثيرٍ مما يَرَى فيهِ تحقيقَ حاجَةٍ في النَفْسِ، أو مَطْلَبٍ مِنْ مَطَالِبِ الحَياةِ، مِنَ الأُمُورِ المادِّيَّة أو المَعْنَوِيَّة، العاجِلَةِ أو الآجِلَةِ.

ولمّا كان تحقيق ما يَرْجُوهُ هٰذا الإنسان مرتبِطاً في الواقع بقضاء الله وقَدَرِه، ومَرْهوناً بإرادة الله وقدرته وخلقه، ولا يتمُ إلّا بعطائه وهِبَتِه، وَجب أن يَتوَجَّه طَمَعُ العاقِلِ المؤمِنِ باللَّهِ، في تحقيق ما يُريدُ مِن خَيْرٍ لِنَفْسِهِ أو لِمَنْ يُحِبُّ، إلى مَن بيده القُدْرَةُ على تحقيق مطالِبِهِ وحاجاته، وهو اللَّهُ تعالى.

ومِن هنا جاء في المأثور من أسماء اللَّهِ الحُسْنَى: (الوَهّابُ، البَرُّ، الكريمُ، الواسِعُ).

معناه: الوَهَّابُ: مَأْخُوذٌ مِن الهِبَةِ، وهي العَطِيَّةُ الخالِيَةُ مِنَ العِوَضِ والغَرَضِ، والوَهَّابُ: صِيغَةُ مُبالَغَةٍ للواهِب. ولا تكونُ الهِبَةُ حقيقةً إلّا إذا كانت مِنَ اللَّهِ تعالى، إذْ لا مالِكَ في الواقِعِ سِوَاهُ.

وقد ورد هٰذا الاسم في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع:

الموضع الأول

وهو قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران: 8]. أي: لا تُمِلْها عن الهُدَى بَعْدَ إذْ أَقَمْتَها عليه، ولا

تَجْعَلْنا كالذين في قُلوبِهم زَيغٌ، الذين يَتَّبِعُونَ ما تشابَهَ مِنَ القُرآن، ولكن ثَبِّتْنا على صِراطِكَ المُستَقِيم وَدِينِكَ القويم ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ تثبِّتُ بها قُلوبَنا، وتَجْمَعُ بها شَمْلَنا، وتَزِيدُنا بها إيماناً وإيقاناً ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾. أخرج ابنُ أبي حاتم، عن أمِّ سَلَمَة ﵂ أنَّ النبي ﷺ كان يَقُولُ: «**يا مُقَلِّبَ القُلوب ثَبِّتْ قَلْبي على دِينكَ**» ثم قرأ: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾

الموضعُ الثاني

قوله تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُواْ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾﴾ [ص: 9 ـ 11]. يقولُ تعالى مُخْبراً عن المشركين في تَعَجُّبِهِمْ من بعثة الرسول ﷺ بَشيراً ونذيراً، ومُبَيِّناً أنّه المُتَصَرِّفُ في مُلكِهِ الفَعَّالُ لما يَشاءُ، الذي يُعطِي من يَشاءُ، ويُعِزُّ مَنْ يَشاءُ، ويُذِلُّ مَنْ يَشاءُ، ويَهدِي مَنْ يَشاءُ، ويُضِلُّ مَنْ يَشاءُ، ويُنزِلُ الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ على مَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ، ويَخْتِمُ عَلى قَلْبِ مَن يَشاءُ فلا يَهْدِيهِ أَحَدٌ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ، وأَنَّ العِبادَ لا يَمْلِكُونَ شيئاً مِنَ الأَمْرِ، ولَيسَ إِلَيْهِم مِن التَصَرُّفِ في الملك، ولا مثقالَ ذَرَّةٍ وما يَمْلِكون مِن قِطْمير، ولهٰذا قال تعالى مُنكِراً عليهم: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾﴾ أي: العزيزُ الذي لا يُرامُ جنابُهُ، الوَهَّابُ الذي يُعْطِي ما يُريدُ لِمَن يُريدُ، وهٰذه الآيةُ الكريمةُ شبيهَةٌ بقوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾﴾ [النساء: 53 ـ 55] وقولِهِ تعالى: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾ [الإسراء: 100]، وذلك بعد الحكاية عن الكفار أنهم أنكرُوا بعْثَةَ الرَّسُولِ البَشَرِيِّ ﷺ، وكما أَخْبَرَ عزّ وجلّ عن قَوْمِ صَالِحٍ ﵇ حين قالوا: ﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾ [القمر: 26] وقوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُواْ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾﴾ أي: إن كانَ لهم ذلك فَلْيَصْعَدُوا في الأسباب، قال ابن عباس: يعني: طُرُقَ السماءِ، ثم قال ﷻ: ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾﴾ أي: هؤلاء الجُنْدُ

المُكَذِّبونَ الذين هم في عِزَّةٍ وشِقاقٍ سَيُهْزَمُون ويُغْلَبُون ويُكبَتُون كما كُبِتَ الذين مِنْ قَبْلِهِم مِن الأحْزابِ المُكَذِّبين.

الموضع الثالث

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾ [ص: 34، 35] أي: اختَبَرْنا سليمانَ بأن سَلَبْناهُ المُلْكَ ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ قال ابن عبّاس: شيطاناً ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ أي: رَجَعَ إلى مُلكه وسلطانه﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾ فسألَ مِنَ اللَّهِ تعالى مُلْكاً لا يكونُ لأَحَدٍ مِن بَعْدِهِ من البَشَرِ مِثْلُهُ، وبذلك وردت الأحاديث الصحيحة من طُرُقٍ عن رسولِ الله ﷺ.

أقوال العلماء في تفسيره

قال مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري الشافعي (ت 606 هـ) في كتابه: «النهاية في غريب الحديث»: (الوهّابُ في أسماءِ اللَّهِ تعالى: من أبنية المبالغة، أصله: الواهِبُ، والهِبَةُ: هي العطيَّة الخالِيَةُ عن الأعْواضِ والأغراض، فإذا كثُرَتْ سُمِّيَ صاحِبُهَا: وهَّاباً، وفي الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد في «مسنده»: «**لقد هَمَمْتُ ألاّ أتَّهِبَ إلاّ مِنْ قُرَشِيٍّ أو أنْصارِيٍّ أو ثَقَفِيٍّ**» أي: لا أقبلُ هَدِيَّةً إلاّ مِن هٰؤلاء؛ لأنّهم أصحابُ مُدُنٍ وقُرى، وهم أعْرَفُ بمكارِمِ الأخلاقِ؛ ولأن في أخلاقِ البادِيَةِ جَفاءً وذهاباً عن المُروءَةِ، وطلباً للزيادة). انتهى كلام ابن الأثير.

أقوال المفسّرين

يقول الله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى: 49، 50]. يُخبر تعالى أنه خالقُ السمّواتِ والأرضِ ومالِكُهما والمُتَصرِّفُ فيهما، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه يُعطي من

يَشاءُ ويَمنَعُ مَن يشاءُ، ولا مانِعَ لما أعطى، ولا معطي لما مَنَعَ، وأنه يخلق ما يشاء ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا﴾ أي: يرزقه البنات فقط، قال الإمام البغويّ: ومنهم: لوطُ ﷺ ﴿وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ أي: يرزقه البنينَ فقط، قال البغوي: كإبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام لم يولد له أنثى ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا﴾ أي: ويُعطي لمن يشاء من الناسِ الزوجين الذكر والأُنثى، أي: مِن هٰذا وهذا كمحمَّد ﷺ ﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾ أي: لا يولدُ له، قال البغويّ: كيحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام، فجعل الناسَ أربعة أقسام﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌ﴾: بمن يستحقّ كل قِسم من هٰذه الأقسام ﴿قَدِيرٌ﴾ أي: على ما يشاء من تفاوت الناس في ذلك.

26 ـ البَرُّ

معناه

البَرُّ ـ بفتح الباءِ ـ هو فاعِلُ البِرِّ ـ بكسر الباء ـ والبِرُّ هو الإحسانُ. فاللَّهُ سبحانه وتعالى هو ذو الإحسانِ الحقيقيِّ، الذي يَمْنَحُ عطاءَه جميعَ الناسِ، مُحْسِنَهُمْ ومُسِيئَهُم. قال الله سبحانه وتعالى حكايةً لِقَوْلِ أهل الجنَّة في الجنَّة في محكم كتابه الكريم ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ [الطور: 28]، وقد ورد هٰذا الاسم الكريم في القرآن في موضع واحد لا غير.

أقوال المفسّرين في تفسيره

قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ

﴿هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٨﴾ [الطور: 17 ـ 28]. يُخْبِرُ اللّٰه تعالى في هٰذه الآيات عن حال السُعَدَاءِ فقالَ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ۝١٧﴾، وذلك بِضِدِّ ما فيه الكُفّارِ من العذاب والنَكال ﴿فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ أي: يَتَفكهون بما آتاهم اللّٰهُ مِنَ النَعيم مِن أصنافِ الملاذِّ من مآكل ومشارب، وملابِسَ ومَساكِن ومراكب وغيرِ ذلك ﴿وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ أي: وقد نجّاهم مِن عذابِ النَّارِ، وتِلكَ نِعمةٌ مُسْتَقِلَّةٌ بذاتها على حِدَتها، مع ما أضِيفَ إليها مِنْ دُخولِ الجَنَّةِ، التي فيها مِنَ السُّرورِ ما لا عينٌ رأتْ، ولا أذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ على قَلْبِ بَشَرٍ. وقوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٩﴾ أي: هذا بذاك تَفَضُّلاً منه وإحساناً، وقوله تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾، أخرج ابن أبي حاتم، عن الهيثم بن مالك الطائي، أن رسولَ الله ﷺ قال: «**إن الرَجُلَ لَيتكىءُ المُتَّكأ مِقْدارَ أربعينَ سَنَةً ما يتحوَّلُ عنه ولا يَمَلُّهُ، يأتيهِ ما اشتَهت نَفْسُهُ ولذَّتْ عَيْنُه**». ومعنى ﴿مَّصْفُوفَةٍ﴾ أي: وُجوهُ بَعْضِهم إلى بعض كقوله: ﴿فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ۝٧٤﴾ [الحجر: 74] ومعنى ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ أي: وجعلنا لهم قريناتٍ صالحاتٍ وزوجات حِسَانٍ مِنَ الحُورِ العِين، ثم يُخْبِرُ تعالى عن فضله وكرمه وامتِنانِهِ ولُطْفِهِ بِخَلْقِهِ وإحسانِه، إن المؤمنين إذا اتَّبعَتْهم ذُرِّيَّتُهُمْ في الإيمان يُلحِقُهُم بآبائهم في المَنزلِةِ، وإن لم يَبْلُغوا عملهم، لِتَقَرَّ أعْيُنُ الآباءِ بالأبناءِ عندهم في مَنازلهم فيجمع بينهم فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم﴾ ـ بفتح اللام ـ أي: نَقَصْناهُمْ ﴿مِّنْ عَمَلِهِم﴾ أي: مِنَ عَمَلِ الآباءِ ﴿مِّن شَىْءٍ﴾ يُزادُ في عمل الأولاد ﴿كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾، لمَّا أخْبَرَ عن مكان الفَضْل، وهو رفع دَرَجةِ الذُرِّيَّةِ إلى مَنْزِلَةِ الآباء من غير عَملٍ يَقْتضي ذلك، أَخْبَرَ عن مَقام العَدْلِ، وهو أنّه لا يُؤاخِذُ أحداً بِذَنْبِ أحَدٍ، و ﴿رَهِينٌ﴾ أي: مُرْتَهَنٌ بِعَمَلِهِ يؤاخذ بالشر ويجازي بالخير، لا يُحمَلُ عليه ذنبُ غيره مِن الناسِ سَواءً كان أباً أو ابناً، ثم قال: ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢٢﴾ أي: وألحقناهم بفواكهَ ولحوم من أنواع شتّى مما يُسْتَطاب ويُشْتَهى، وقوله تعالى: ﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾ أي: يَتَعاطَوْن فيها كأساً أي: من الخَمْرِ، قاله الضَحَّاكُ ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ أي: لا يَتَكلّمون فيها بكلام لاغ أي: هَذَيانٍ ولا إثم أي: فُحْشٍ، كما يَتَكلَّمُ به الشَرَبَةُ مِن أهْلِ الدُنيا. وقوله تعالى: ﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ۝٢٤﴾ إخبارٌ عن خَدَمِهِم وحَشَمِهِمْ في الجَنَّة،

كأنّهم اللؤلؤ الرطْبُ المَكْنون مِن حُسْنِهم وبَهائِهم، ونظافَتِهم، وحُسْنِ مَلابِسِهم. وقوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴿٢٧﴾﴾ أي: أقبلوا يتحادَثون ويَتساءلون عن أعْمالهم وأحْوالهم في الدنيا ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴿٢٦﴾﴾ أي: كنّا في الدار الدنيا ونحنُ بين أهْلينا خائفينَ من ربّنا مُشْفِقينَ مِن عَذابِهِ وعِقابه ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾: بالمغفرة ﴿وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ أي: النار، وسمّاها: سَمُوم لِدُخولِها في المَسَامّ، أي: فتَصَدَّقَ علينا وأجارنا ممّا نَخافُ ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾ أي: نعبده موحدين أي: ونتضرّعُ إليه: فاسْتَجابَ لنا وأعطانا سُؤْلنا ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ أي: المُحْسِنُ الصادِقُ في وَعْدِهِ، العَظيمُ الرَّحْمَةِ.

أقوال العُلماء في تفسيره

يقول الإمام حُجَّةُ الإسلام أبو حامد الغَزَالي الشافعي (ت 505 هـ) في تفسير هٰذا الاسم في كتابه: «المَقْصِدُ الأَسْنَى في شرح أسماءِ اللَّهِ الحُسْنَى»: (البَرُّ: هو المُحْسِن، والبَرُّ المُطْلَقُ هو الذي منه كلُّ مَبَرَّةٍ وإحسانٍ. والعَبْدُ إنّما يكونُ بَرّاً بِقَدْرِ ما يتعاطاهُ من البِرّ، لا سِيَّما بِوالِدَيْه وأستاذِهِ وشُيُوخِهِ). انتهى كلام الغزالي.

ويقول الإمامُ مجد الدين أبو السعادات المُبارَك بن محمد بن الأثير الجزري الشافعي في كتابه: «النهاية في غريب الحديث»: (البَرُّ في أسماء الله تعالى: هو العَطُوفُ على عِبادِهِ بِبِرّه ولُطْفِهِ. والبَرُّ والبَارُّ بمعنًى واحد. وإنما جاء في أسماء اللَّهِ تعالى: البَرُّ دون البارّ. والبِرُّ: ـ بالكسر ـ الإحسانُ، ومنه الحديث المتفق عليه الذي أخرجه البخاري في كتاب الجهاد من صحيحه، ومسلم في الإيمان من صحيحه ـ في برّ الوالدين ـ عن عبد الله بن مسعود قال: سألتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ أيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟ قال: «**الصلاةُ لِوَقْتِها**»، قال: قلتُ ثمّ أيٌّ؟ قال: «**برُّ الوالدين**»، قال: قلتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قال: «**الجهادُ في سبيل اللَّهِ**» أي: البر حقُّهما وحق الأقربين من الأهل ضِدُّ العُقُوقِ، وهو الإساءَةُ إليهم والتضييع لِحَقِّهم. يُقالُ: بَرَّ يَبَرُّ فهو بَارٌّ، وجمعُهُ بَرَرَة، وجمع البَرّ أَبْرار، وهو كثيراً ما يُخصُّ بالأولياء والزُّهّادِ والعُبّادِ). انتهى كلام ابن الأثير.

أثره على العَبْد

إن من يَعْلَمُ أن البَرَّ مِن أسماء اللَّهِ الحُسْنى، تَيَقَّنَ مِنْ إحْسانِهِ وعطائِهِ

وفَضْلِهِ، فلا يَقلق على رِزْقِهِ ومُسْتَقْبلِهِ وأولاده وعِياله، فالجميع في كَفالَة مُحْسِن بَرٍّ كَريم، وكذلكَ على المؤمن أن يتمثّل هٰذا الخُلُقَ الكريم في نفسه، فيكون باراً بوالِدَيْهِ ومشايخه، يُحسِنُ إليهم ولا يُسيءُ، واللَّهُ تعالى أخبر عن نبيّه يحيى عليه السلام فقال: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾﴾ [مريم: 14].

برّ الوالدَيْن

مفهوم برّ الوالدين

ممّا لا ريب فيه أن الإسلام يدعو بتعاليمه إلى تقوية الروابط الاجتماعية، فالمؤمنون في المجتمع الإسلامي كلّهم أُخْوَةٍ ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات: 10]. ففي المجتمع الإسلامي يشعر كلّ فَرْدٍ بأُخُوَّة سائر المسلمين، فيتناصح معهم، ويُحِبُّهم ويَوَادُّهم، ويقدّم لهم يَدَ العَوْن والخير والبِرّ، ولو لم يكونوا أقاربه، ولو كانوا مِن جنسيات مختلفة، وبلاد شتّى.

ثم تأتي رابطة الأُسْرَة بعد رابطة العَقيدة في اللَّهِ تعالى، ومع بداهة التسليم بقوة هذه الرابطة، ورسوخها وانفرادها بالسُّمُوّ والحُنُوّ بين جميع العلاقات الإنسانية، فهي محتاجة أبداً إلى التذكير بحقوقها، والتحذير من عقوقها.

ومعظم الأوامر والتوجيهات في القرآن الكريم والسُّنّة الشريفة تَتَّجه إلى توصية الذُرِّيَّة بالوالِدَيْن، وإن كانت لم تغفل توجيه الوالدين إلى الذرِّيَّة، فقد كان اللَّهُ أرحمَ بالأولادِ مِن آبائهم وأُمَّهاتهم في كلّ حَالٍ، وهو الذي لا يَنْسَى والداً ولا ولداً، والبَرُّ الذي يُعَلِّمُ عِبادَهُ الرَّحمَةَ بَعْضَهُم بِبَعْض، ولو كانوا أولاداً أو والدَيْن.

والسَّبَبُ في توجيه الاهتمام إلى الوَصِيَّةِ بالوالِدَيْن، وقِلَّة توصية الوالِدَيْن بالأَوْلاد، أنَّ الوالِدَيْن يَنْدَفِعانِ بالفِطْرَةِ إلى رعايَةِ أولادهم، وإلى التَضحِيَةِ بِكُلّ شيء حتى بالذاتِ في سبيل رعاية الولد.

إن الوالدين في الحقيقة يبذلان لولدهما من أجسادهما وأعصابهما وأعمارهما ومِنْ كل ما يَمْلكان من عَزِيزٍ وغَالٍ، من غير تأفُّفٍ ولا شكوَى، ومن

غَيْرِ مَنٍّ أو انتظار عِوَضٍ، بل مِن غير انتباه ولا شعور بما يبذلان، بل في نَشاطٍ وسُرُورٍ وَفَرَحٍ، كأنهما هما اللذان يأخذان.

فالفِطْرَةُ وحدها كَفِيلةٌ بتوصِيَةِ الوالدين دُونَ وَصِيَّة، أمّا الأولادُ فَسُرْعَانَ ما يَنْسَونَ هٰذا كُلَّه، ويَتَوَجَّهون في الغالب بكينونَتهم كلِّها، وبعواطِفِهم ومَشاعرهم واهتماماتِهم إلى الزَّوْجَةِ والولد والذرّيّة، فهم في حاجَةٍ إلى الوَصِيَّةِ المكرَّرة ليلتفتوا إلى والِدَيْهِم المُدْبِرين المُولِّين، بعدما سَكبا عُصارَةَ عُمْرِهما وروحهما وصحّتهما وأعصابهما لهم.

تشريع بِرّ الوالدين

لقد شرع الله البرّ بالوالدين في جميع الشرائع السابقة المُنْزَلَةِ على الأنبياءِ والرُسُلِ. يقولُ اللّهُ في محكم كتابه الكريم: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة: 83]، وأثنى سبحانه على يحيى ﷺ فقال في حَقِّه: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ۝١٤﴾ [مريم: 14]، وقال على لسان عيسى ﷺ: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ۝٣٢﴾ [مريم: 32].

ولما أنزل الله القرآن على نبيِّه محمد ﷺ، وجَّه اهتماماً خاصاً، وحِرْصاً شديداً، واهتماماً كبيراً لبرّ الوالدين والإحسان إليهما، بما لا نظير له في أي نظام تشريعي وَضْعي أو مِلّةٍ، أو تشريع سابق، قال اللّهُ عزّ وجل: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ۝١٤﴾ [لقمان: 14] ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝٢٣ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ۝٢٤﴾ [الإسراء: 23، 24]. فاللّهُ تعالى يوجب الاهتمامَ بالوَالِدَيْن والإحسانَ إليهما وُجوباً مُؤَكَّداً، وخاصَّةً عند بُلوغِهما مَبْلَغ الكِبَرِ والضَّعْفِ. ذلك أن الكِبَرَ مَرْحَلَةٌ حَسَّاسَةٌ من عُمُرِ الإنسانِ تقتضي تقديراً واهتماماً زائدين، والإنسانُ مَتَى كَبُرَتْ سِنُّهُ وأَدْرَكَهُ العَجْزُ، كَثُرَتْ مَطالِبُه، وزادَت عنده حِدَّةُ الشعور بالحاجَةِ، والرِعاية، والاهتمام، والحنان.

مراتب بر الوالدين

وأول مَرْتَبة مِن مراتب الرعاية والأدب أن لا يصدُرَ من الولد شيءٌ يَدُلُّ على الضَجَرِ وَالضِيقِ وما يَنُمُّ عن الإهانَةِ وسُوءِ الأَدَبِ مَعَ وَالدَيْهِ، مَهْمَا قَلَّ أو هان إلى الدَرَجَة التي يُشَدِّدُ فيها على كلمة ﴿أف﴾ وهي أدنى ما يَتَفَوَّهُ به الإنسانُ عند الضَجَر، ومِن بابِ أَوْلَى ما هو أكبر وأشدُّ في الإساءَةِ والأَذَى. قال الإمام عَلِيٌّ بن أبي طالب: لَوْ عَلِمَ اللَّهُ مِنَ العُقوقِ شيئاً أَدْنَى من كلمة ﴿أف﴾ لذكره، فلْيَعْمَلِ البارُ ما شاء أن يعملَ فلن يَدْخُلِ النارَ، ولْيَعْمَلِ العاقُّ ما شاءَ أن يَعْمَلَ فلن يَدْخلَ الجَنَّة.

والمرتبة الأعلى أن يكون كلامُه لوالديه يَنُمُّ عن الإكرام والاحترام ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ وأن يخضَعَ لهما ويلينَ، ويَتَذَلَّلَ تَذَلُّلَ الراحِم، لا تَذَلُّلَ الضَعيفِ المَهينِ، وأن يَتَوَجَّهَ إلى الله أن يرحمهما، فَرَحْمَةُ اللَّهِ أَوْسَعُ، ورِعايَةُ اللَّهِ أَشْمَلُ، وجَناتُ اللَّهِ أَرْحَبُ، وهو أَقْدَرُ على جَزائِهما، بما بذلا مِن دمهما وقلبهما مما لا يَقدرُ على جزائه الأولادُ.

برّ الوالدين في السُنّة

وفي السُنّةِ النبويّة المُطهَّرة أحاديثُ كثيرة تحضُّ على طاعَةِ الوالدين، وتأمُر بتكريمهما وبذل كل ما في الوسع والطاقة من البرّ والإحسانِ إليهما، أخرج الإمامُ مُسْلِمٌ في «صحيحه» عن أبي هريرة قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**لا يَجْزِي ولدٌ وَالِداً إلا أن يَجِدَهُ مَمْلوكاً فيَشترِيَهُ فيُعْتِقَه**».

وأخرج عنه أيضاً قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**رغِمَ أَنْفُه، ثم رغِمَ أَنْفُهُ، ثم رغِمَ أَنْفُه**»، قيل: مَن يا رسولَ اللَّهِ؟ قال: «**مَن أَدْرَكَ أَبَوَيْه عِندَ الكِبَرِ أَحَدَهُمَا أو كِلَيْهِما فلم يَدْخُلِ الجَنَّة**».

وأخرَج عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: أقبل رجلٌ إلى نبيّ الله ﷺ فقال: أُبايِعُكَ على الهجرة والجهادِ، أَبتَغِي الأَجْرَ مِنَ اللَّهِ، قال: «**فَهَل مِن والدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ**»؟ قال: نعم بل كلاهما، قال: «**فَتَبْتَغِي الأَجْرَ مِن الله**»؟ قال: نعم قال: «**فارجع إلى والديكَ فأحسن صُحْبَتَهما**».

وأخرج البخاريّ في كتاب الأدب من «صحيحه» عن أبي هريرة ﷺ قال: «جاء رَجُلٌ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال: مَن أحقُّ الناسِ بحُسْنِ صَحابَتي؟ قال: «**أُمُّك**»، قال: ثُمَّ مَن قال: «**أُمُّك**»، قال: ثمَّ مَن؟ قال: «**أُمُّك**»، قال ثمَّ مَن؟ قال: «**ثمَّ أبوك**».

27 ـ الكَريمُ

معنى هٰذا الاسم

يأتي بمعنى: كَرمِ الذاتِ والصِفات، وهو شرَفُها ومِقْدارُها العظيمُ.

ويأتي بمعنى: كَرَمِ أفعالِ اللَّهِ سبحانه، فهو بمعنى: البادِئُ بالنَّوال ـ أي: العَطاء ـ قَبْلَ السُّؤالِ.

وقد وردَ في القرآن الكريم في موضعٍ واحد وهو قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦﴾ [الانفطار: 6].

أقوالُ العُلماء فيه

يقول الإمامُ أبو حامد الغزالي في كتابه «المقصد الأسنى في شرح أسماء اللَّهِ الحسنى»: (الكريمُ: هو الذي إذا قَدَرَ عَفَا، وإذا وَعَدَ وَفَى، وإذا أعطى زاد على مُنْتَهى الرجاء، ولا يُبالي كم أعطى ولِمَن أعْطَى، وإن وقَعَت حاجَةٌ إلى غيره لا يَرْضَى، وإذا جَفَا عاتَبَ وما اسْتَقْصَى، ولا يَضيعُ مَنْ لاذَ به والْتَجا، ويُغْنيهِ عن الوسائِل والشفعاء، فَمَنِ اجتمع له جميع ذلك لا بالتَكَلُّف، فهو الكريمُ المُطلَقُ، وذلكَ هو اللَّهُ تعالى فقط.

هٰذه الخِصَالُ قد يَتَجمَّلُ العَبْدُ باكتِسابها، ولكن في بَعضِ الأمور، ومع نوع مِنَ التَكَلُّف، فلذلكَ قد يوصَفُ بالكريم، ولكنه ناقِصٌ بالإضافَةِ إلى الكريم المُطْلَقِ، وكَيْفَ لا يوصَفُ به العَبْدُ، وقد قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**لا تقولوا لشجرة العنب الكَرْمَ، فإن الكَرْمَ هو الرجلُ المسلمُ**»؟ (أخرجه مسلم). وقيل: إنما وُصِفَ شَجَرُ العِنَبِ بالكرْم؛ لأنه لَطيفُ الشجرة، طيِّبُ الثَمَرة، سَهْلُ القِطَافِ، قَريبُ التناوُلِ، سَليمٌ عنِ الشَوْكِ والأسبابِ المُؤذِيَة، بِخلافِ النَخْلِ).

ويقول الإمام مجدُ الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: «النهاية في غريب الحديث»: (في أسماء الله تعالى الكريمُ: هو الجوادُ المُعْطِي الذي لا يَنْفُدُ عطاؤهُ، وهو الكريمُ المُطْلَقُ، والكَريمُ الجامعُ لأنْواعِ الخَيْرِ والشَرَفِ والفضَائِلِ. ومنه الحديث: «**إنَّ الكريمَ ابنَ الكريم ابن الكريم ابنَ الكريم، يوسفُ بنُ يعقوبَ**»؛ لأنه اجتمع له شَرَفُ النُبُوَّةِ والعِلْمُ، والجمالُ، والعِفَةُ، وكَرَمُ الأخلاق، والعَدْلُ، ورئاسة الدنيا والدينِ، فهو نبيٌّ ابنُ نبيٍّ ابنِ نبيٍ ابن نبي، رابعُ أَرْبَعَةٍ في النُبُوَّة.

والكريمُ: الذي كرَّم نفسه عن التَدَنُّسِ بشيءٍ مِن مخَالَفَةِ رَبِّه).

أقوال المفسّرين

يقول اللّٰهُ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾ [الانفطار: 6 ـ 12].

هٰذا تهديد مِنَ اللَّهِ تعالى للإنسان، لا كما يتوهَّمُه بعضُ الناسِ من أنه إرشادٌ إلى الجواب، حيث قال: ﴿ٱلْكَرِيمِ﴾ حتى يَقُولَ قائِلُهُمْ: غَرَّهُ كَرَمُه، بل المعنى في هٰذه الآية: ما غَرَّكَ يا ابنَ آدَمَ بِرَبِّكَ الكَريم ـ أي: العظيم ـ حتى أَقْدَمْتَ على مَعْصِيَتِهِ، وقَابَلْتَهُ بما لا يَليقُ؟ كما جاء في الحديث: «**يقولُ اللّٰهُ تعالى يَوْمَ القِيامَةِ: يا ابنَ آدَمَ! ما غرَّكَ بي؟ يا ابنَ آدَمَ! ماذا أَجَبْتَ المُرْسَلِينَ؟**».

أخرج ابنُ أَبي حاتم أن عُمَرَ بنَ الخطّابِ سمع رجلاً يقرأ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦﴾ فقال عُمَرُ: الجَهْلُ. وقال الفُضَيْلُ بنُ عياضٍ: لو قال لي ما غَرَّكَ بي؟ لقُلْتُ: سُتُورُكَ المُرْخَاةُ. وقال أبو بكرٍ الورّاق: لو قال لي ما غرَّك بربِّكَ الكريم؟ لقلتُ: غَرَّني كَرَمُ الكَريم. وقال بعضُ أهلِ الإشارَة: إنما قال: ﴿بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ دون سائِرِ أسمائِه وصِفَاتِه، كأَنَّه لَقَّنَهُ الإجابَةَ، وهٰذا الذي تخيَّلَهُ هذا القائل ليس بطائل؛ لأنه إنما أتى باسمه ﴿ٱلْكَرِيمِ﴾ ليُنَبِّهَ على أنه لا ينبغي أن يُقابَلَ الكَريمُ بالأفعالِ القبيحة وأعمال الفُجورِ. وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧﴾ أي: ما غَرَّك بربِّكَ الكريمِ الذي خَلَقَكَ سَوِيّاً مستقيماً معتدلَ القامة

مُنْتَصَبها في أحسنِ الهيئاتِ والأشكالِ؟ أخرج الإمام أحمد في «مسنده» عن بِشْر القُرَشِيِّ ﷺ أنّ رسولَ اللّهِ ﷺ بَصَقَ يوماً في كَفِّهِ، فوضَعَ عليها إصْبَعَهُ ثم قال: «**قال اللّهُ** ﷻ: يا ابنَ آدمَ! أنّى تُعْجِزُني وقد خَلَقْتُكَ مِن مِثلِ هٰذهِ؟ حتّى إذا سَوَّيْتُكَ وعَدَلْتُكَ، مشَيْتَ بَيْنَ بُرْدَيْنِ وللأرض مِنْكَ وئيدٌ، فَجَمَعْتَ ومَنَعْتَ، حتّى إذا بَلَغتِ التراقِيَ قلتَ: أتصدَّق، وأنّى أوانُ الصَدَقَةِ؟» وقوله: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ أي: هو قادِرٌ على خَلْقِ النطفَةِ على شكل قَبيحٍ مِنَ الحيوانات المنكرة الخَلْقِ كالكلب والحمارِ والخنزير، كما قال أبو صالح، وقتادة، وعكرمة، ولكن بقُدْرَتِهِ ولُطْفِهِ وحِلمِهِ يَخْلُقُه على شكل حسن مستقيم معتدلٍ تامٍّ، حَسَنِ المَنْظَرِ والهيئة. وقولُه تعالى: ﴿كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩﴾ أي: إنما يَحْمِلُكُمْ على مواجهةِ الكريم ومقابلته بالمعاصي تكذيبٌ في قلوبكم بالمعَادِ والحساب والجَزاءِ. وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ۝١٢﴾ يعني: وإن عليكم لَملائكةً حَفَظَةً كِراماً، فلا تُقابِلوهُم بالقبائح فإنهم يكتبون عليكم جميعَ أعمالكم. أخرجه الحافظُ أبو بكر البَزّار في مسنده عن ابن عباس قال: قال رسولُ اللّهِ ﷺ: «**إنّ اللّهَ ينهاكم عَنِ التَعرِّي، فاسْتَحْيُوا مِن ملائِكةِ اللّهِ الذين معكم، الكرام الكاتبين الذين لا يُفارقونكم إلّا عند إحدَى حالات ثلاث: الغائِطِ، والجنابَةِ، والغُسْلِ، فإذا اغتسَلَ أحدُكم بالعراء فَلْيَسْتَتِر بثوبه، أو بِجُرمِ حائِطٍ، أو ببعيره**».

أثر هٰذا الاسم على العبد

إن من علم أن ربَّهُ كريمٌ لم يخش من الفقر على نفسه وعياله، وتمثّل بهٰذه الصفة الكريمة، فكان كريماً على أهله وعياله ومجتمعه، ولم يكن بخيلاً؛ لأن اللّهَ كريمٌ يحبُّ الكرم والجود.

إن أكرمكم عند الله أتقاكم

يقولُ الله تبارك وتعالى في مُحكَم كتابه الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ۝١٣﴾ [الحجرات: 13].

يُخبِرُ اللّهُ تعالى الناسَ أنه خَلَقَهُم مِنْ نَفْسٍ واحدةٍ، وَجَعَلَ منها زَوْجها،

وهما: آدَمُ وحَوَّاءُ، وجَعَلَهُم شعوباً، وهي أعَمُّ مِنَ القَبَائِل، وبَعْدَ القبائِلِ مَراتِبُ أُخرُ كالفَصائِلِ، والعَشَائِرِ، والعَمائِر، والأفخاذ، وغيرِ ذلك. وقيل: المُرادُ بالشُّعوبِ: بُطونُ العَجَمِ، وبالقبائِلَ: بُطونُ العرب، كما أنّ الأسباطَ بُطونُ بَني إسرائيل. فجَميعُ الناسِ في الشَّرَفِ بالنِسبَةِ الطينيّة إلى آدَمَ وحَواءَ عليهما السلام سواءٌ، وإنما يتفاضلونَ في الأمور الدينية، وهي طاعةُ اللّهِ، ومُتابَعَةُ رَسولِهِ ﷺ؛ ولهٰذا قال تعالى بعد النَهْيِ عن الغِيبَةِ واحتِقارِ بَعضِ الناسِ بَعْضاً، مُنَبِّهاً على تَساويهِم في البشَريَّةِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ أي: لِيَحْصُلَ التعارُفُ بينهم، كلٌّ يَرْجِع إلى قبيلته. وقال مجاهد في قوله ﴿لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ كما يقالُ: فلانُ ابن فلان، من كذا وكذا، أي: مِن قبيلة كذا وكذا. أخرج الإمام الترمذيُّ في «جامعه» عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**تعَلَّموا مِن أنْسابِكُمْ ما تَصِلُونَ به أرْحامكم، فإنَّ صِلَةَ الرَّحم مَحبَّةٌ في الأَهْلِ، مَثْراةٌ في المالِ، مَنْسَأةٌ في الأَثَرِ**» ثم قال الترمذي: (غريبٌ لا نعرفه إلاّ من هٰذا الوَجْهِ).

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ أي: إنما تتفاضَلُونَ عند اللّهِ تعالى بالتَقْوى لا بالأحساب، وقد وردت الأحاديثُ بذلك عن رسول الله ﷺ. أخرج البخاريُّ في «صحيحه» عن أبي هريرة ﷺ قال: سُئِلَ رسولُ اللّهِ ﷺ: أيُّ الناس أكرَمُ؟ قال: «**أكْرَمُهُمْ عِندَ اللّهِ أتقاهُمْ**»، قالوا: ليس عن هٰذا نَسْأَلُكَ، قال: «**فأكرَمُ الناسِ يوسفُ نَبِيُّ اللّهِ ابنُ نبيِّ اللّهِ، ابن نبيِّ اللّه ابنِ خليلِ اللّهِ**»، قالوا: ليس عن هٰذا نَسْأَلُكَ، قال: «**فَعَنْ مَعادِنِ العَرَبِ تَسْأَلُوني؟**» قالوا: نعم، قال: «**فَخِيارُكُم في الجاهِلِيَّةِ خِيارُكُم في الإسلامِ إذا فَقُهُوا**».

وأخرجَ الإمامُ مُسْلِمٌ في «صحيحه» عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسولُ اللّهِ ﷺ: «**إنَّ اللّهَ لا يَنْظُرُ إلى صُورِكُمْ وأَموالِكُم، ولكن يَنْظر إلى قُلوبِكُم وأعْمالِكم**».

وأخرجَ الإمامُ أحمدُ في «مسنده» عن أبي ذَرّ ﷺ قال: إن النبي ﷺ قال له: «**انظر فإنك لست بَخَيْرٍ مِن أحْمَرَ ولا أسْوَدَ، إلاّ أن تَفْضُلَه بتَقْوَى اللّه**».

وأخرجَ الحافظ أبو القاسم الطبراني في «معجمه الكبير»، عن حبيب بن

خِراشٍ العَصْرِي أنه سمع رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «**المؤمنون إخوَةٌ، لا فضلَ لأَحَدٍ على أَحَدٍ إلّا بالتقوى**».

وأخرج أبو بكر البزّار في «مسنده»، عن حذيْفَة بن اليَمانِ ﷺ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**كُلُّكُمْ بنو آدَمَ، وآدَمُ خُلِقَ مِن تُرابٍ، ولَيَنْتَهِيَنَّ قومٌ يفْخرون بآبائِهِم أو لَيَكونَنَّ أهْوَنَ على اللَّهِ تعالى مِن الجُعْلانِ**».

وأخرج ابنُ أبي حاتم في «تفسيره»، عن ابن عُمَرَ ﷺ قال: طاف رسولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ فتح مكة على ناقته القَصْواءَ، يَسْتَلِمُ الأَرْكانَ بمحجنٍ في يَدِهِ، فما وَجدَ لها مَناخاً في المسجد حتى نزل ﷺ على أَيْدِي الرجالِ، فخرج بها إلى بَطنِ المَسِيلِ، فَأُنِيخَت، ثم إنّ رسولَ اللَّهِ ﷺ خطَبَهُمْ على راحِلَتِه، فَحَمِدَ اللَّهَ تعالى وأَثْنى عليه بما هو لهُ أَهْلٌ ثم قال: «**يا أيُّها الناسُ! إنَّ اللَّهَ تعالى قد أذْهَبَ عَنْكُم عَيْبَةَ الجاهِلية، وتعظُّمها بآبائها، فالناسُ رَجُلانِ: رَجُلٌ بَرٌّ تَقِيٌّ كريمٌ على اللَّهِ تعالى، ورَجُلٌ فاجرٌ شَقِيٌّ هَيِّنٌ على اللَّهِ تعالى، إنَّ اللَّهَ** ﷻ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ ثم قال ﷺ: «**أقولُ قولي هٰذا وأستغفرُ اللَّهَ لي ولَكُم**».

وأخرجَ الإمامُ أحمد في «مُسْنَدِهِ» عن عُقْبَةَ بن عامِرٍ رضي اللَّهُ عنهما قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**إنّ أنسابَكم هٰذه ليست بِمَسَبَّةٍ على أحَد، كُلُّكُم بنو آدَمَ، طَفَّ الصاعُ لم يَمْلَؤوهُ، ليس لأحد على أحَدٍ فضل إلّا بدينٍ وتَقْوى، وكَفَى بالرجُلِ أن يكونَ بَذِياً بخيلاً فاحِشاً**».

وأخرج ابن جرير الطبري في «تفسيره» بلفظ: «**الناسُ لآدَمَ وحوّاء، طَفَّ الصّاعُ لم يَمْلؤوه، إن اللَّهَ لا يسألُكُم عن أحْسَابِكم ولا عَن أنْسَابِكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ** ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾».

وأخرج الإمامُ أحمدُ في مسنده، عن دُرَّة بنت أبي لهب ﷺ قالت: قامَ رجلٌ إلى النبي ﷺ وهو على المِنْبَر فقالَ: يا رسولَ اللَّهِ! أيُّ الناسِ خيرٌ؟ قال ﷺ: «**خير الناس أقرأهم، وأتقاهم للَّهِ عزّ وجلّ، وآمَرُهُمْ بالمَعْرُوفِ وأنهاهُمْ عَنِ المُنْكَرِ، وأَوْصَلُهُمْ للرَّحِمِ**».

وأخرج عن عائشةَ أمِّ المؤمنين ﵂ قالت: «ما أَعْجَبَ رسولَ اللَّهِ ﷺ شيءٌ من الدُنيا، ولا أَعْجَبَهُ أَحَدٌ قط إلا ذو تُقى».

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ أي: عليمٌ بكم، خبيرٌ بأُمورِكم فيَهدِي مَن يَشاءُ، ويَرْحَمُ مَن يشاءُ، ويُعَذِّبُ مَن يشاءُ، ويُفَضِّلُ مَن يَشاء على مَن يَشاءُ وهو الحكيم العليمُ الخبير في ذلك كلِّه.

إن هٰذه الآية وهٰذه الأحاديث تضع الميزانَ الصحيح لتفاضُل الناس، فليس الجاهُ ولا المناصِبُ، ولا شرف النَسَبِ والأسرة، ولا المالُ، ولا القوة الدنيوية، ولا امتلاكِ السلطة والأسلحةِ هي التي ترفع قدرَ الناسِ عند اللَّهِ، بل التفاضل عنده بالتَّقْوَى والإيمان والخوفِ من اللَّهِ عزّ وجلّ، والتزام طاعته ودينه وشرعه، وهكذا أرادَ اللَّهُ لعباده أن يزنوا الناسَ بهٰذا الميزان، فلا يعظّمون الناسَ لاعتبارات دنيوية، بل لدينهم وورعهم وتقواهم، وهذا هو الشرف، والكرم، والحسب، والنسب.

28 ـ الواسع

معناه

مشتق من السَعَةِ، فإذا كان بمعنى: السَعَةِ في العَطاءِ، فمعناه: الكريم الجَوادُ الذي عَمَّت نِعَمُه، وشَمَلَتْ رحْمَتُه جميع خَلْقِهِ، فَفَواضِلُهُ شامِلَةٌ، ومِنَحُهُ كاملةٌ. وقد يأتي بمعنى: الواسع في العلم. وقد ورد هٰذا الاسم في سَبْعَةِ مواضع مِن القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [البقرة: 115]. كما ورد في حديث أسماء الله الحسنى.

أقوال العلماء في تفسيره

يقول حُجَّةُ الإسلام الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الشافعي (ت 505 هـ) في كتابه «المَقْصِد الأَسْنَى في شرح أسماءِ اللَّهِ الحُسْنَى» في تفسير هٰذا الاسم: (الوَاسِعُ: مُشْتَقٌّ مِنَ السَّعَةِ، والسَعَةُ: تُضافُ مَرَّة إلى العِلم إذا اتّسَعَ وأحاط بالمعلومات الكثيرة، وتُضافُ أخرى إلى الإحسان وبَسْطِ النِعَمِ،

وكيفما قُدِّرَ وعلى أي شيء نزل، فالواسِعُ المُطْلَقُ هو اللَّهُ تعالى؛ لأنّه إن نُظِرَ إلى علمه، فلا ساحِل لبحر معلوماته، بل تَنْفَدُ البِحَارُ لو كانت مِداداً لكلماته، وإنْ نُظِرَ إلى إحْسَانِهِ ونِعَمِهِ، فلا نهاية لِمَقْدُوراتِهِ، بل وكلُّ سَعَةٍ ـ وإن عَظُمَت ـ فتنتهي إلى طَرَفٍ، فهو أحَقُّ باسم السَّعَةِ، واللَّهُ تعالى هو الواسِعُ المُطْلَقُ؛ لأن كلَّ واسِعٍ بالإضافةِ إلى ما هو أَوْسَعُ مِنْه ضَيِّقٌ، وكُلُّ سَعَةِ عِلْمٍ تنتهي إلى طَرَفٍ، فالزيادةُ عليها مُتصوَّرَةٌ، وما لا نهايَةَ له ولا طرف، فلا يُتَصَوَّرُ عليه زيادَة.

وبالنسبة للعبد، فإن سعته في معارفه وأخلاقه، فإن كَثُرَت علومُهُ فهو واسِعٌ بقدر سَعَةِ عِلْمِهِ، وإن اتَّسَعَتْ أخْلَاقُه حَتَّى لم يُضَيِّقْها خوفُ الفَقْرِ، وغَيْظُ الحسُودِ، وغَلَبَةُ الحِرْصِ، وسائِرُ الصِفات، فهو واسِعٌ، وكلُّ ذلك فهو إلى نهاية، وإنّما الواسِعُ الحَقُّ هو اللَّهُ تعالى). انتهى كلام الغزالي.

ويقولُ الإمامُ مجدُ الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه: «النهاية في غريب الحديث والأثر»: (في أسماء الله تعالى: الواسِعُ: هو الذي وسِعَ غِنَاهُ كلَّ فَقِيرٍ، ورَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ، والوُسْعُ والسَعَةُ: الجِدَةُ والطاقَةُ. ومنه الحديث: «**إنّكم لن تَسَعُوا الناسَ بأمْوالِكُم فَسَعُوهُمْ بأخلاقِكُمْ**». (أخرجه البزّار في مسنده عن أبي هريرة وحسّنه ابن حجر في الفتح) أي: لا تَتَّسِعُ أمْوالُكُمْ لِعَطائِهِم فَوَسِّعُوا أخْلاقَكُم لِصُحْبَتِهِم). انتهى كلام ابن الأثير.

أقوال المفسّرين

يقول الله تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [البقرة: 267 ـ 269]، يأمُرُ اللَّهُ تعالى عِبادَهُ المؤمنين بالإنفاقِ، والمُرادُ به: الصَدَقَةُ هُهُنا؛ قاله ابن عباس: من طيّبات ما رزقهم من الأموالِ التي اكتسبوها. قال مجاهد: يعني: التجارة بِتَيْسِيرِهِ إياها لهم. وقال عليُّ بن أبي

طلحة والسُّدِّيّ: ﴿مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ يعني: الذَهَبَ والفِضةَ، ومِنَ الثمارِ والزُرُوعِ التي أنبتها لهم من الأرض. قال ابنُ عبَّاسٍ: أمَرَهُم بالإنفاق مِن أطْيَبِ المالِ وأَجْوَدِه وأَنْفَسِهِ، ونهاهم عن التَصَدُّقِ برذالة المالِ وَدَنِيئِه، وهو خَبيثُه؛ فإنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إلَّا طيِّباً، ولهذا قال: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ﴾ أي: تَقْصِدُوا الخَبيثَ ﴿مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ﴾ أي: لو أُعْطِيتُمُوهُ ما أخذتموه إلّا أن تتغاضَوْا فيه فاللَّهُ أغنى عنه منكم، فلا تجعلوا لله ما تَكْرَهُونَ. وقيل معنا: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ أي: لا تَعْدلوا عن المالِ الحلالِ وتَقْصِدُوا إلى الحَرامِ فتَجْعَلوا نَفَقَتَكُم منه.

خرج الإمامُ أحمد في «مسنده» عن عبد الله بن مسعود، قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**إنَّ اللَّهَ قَسَمَ بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، وإنَّ اللَّهَ يُعطي الدنيا مَن يُحِبُّ ومَن لا يُحِبُّ، ولا يُعْطِي الدينَ إلّا لِمَن أَحَبَّ، فمن أعطاهُ اللَّهُ الدينَ فقد أَحَبَّه، والذي نفسي بيده، لا يُسْلِمُ عَبْدٌ حَتَّى يُسْلِمَ قَلْبُه ولسانُه، ولا يُؤمِنُ حَتَّى يأمَنَ جارُهُ بوائِقَه**»، قالوا: وما بَوَائِقُه يا رسولَ اللَّهِ؟ قال: «**غِشُّه وظلمه، ولا يَكسِبُ عبدٌ مالاً مِن حرام فَيُنْفِقُ منه فيبارَكُ له فيه، ولا يَتصَدَّقُ به، فيُقْبَلُ منه ولا يتركه خلف ظهره إلّا كان زادَه إلى النار، إنّ اللَّهَ لا يمحو السَّيِّءَ بالسَّيِّءِ ولكن يمحو السَّيِّءَ بالحَسَنِ، إن الخَبيثَ لا يمحو الخبيثَ**».

وقوله: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ أي: وإن أمَرَكم بالصدقات وبالطيِّبِ منها فهو غَنِيٌّ عنها، وما ذاك إلّا أن يُسَاوِيَ الغِنِيَّ والفَقيرَ، فهو غنيٌّ عن جميع خلقه، وجميعُ خَلْقِهِ فُقراءُ إليه، وهو واسِعُ الفَضْلِ، لا يَنْفَدُ ما لديه، فَمَنْ تَصَدَّقَ بصَدَقَةٍ مِنْ كَسْبٍ طيِّبٍ فليعلم أنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ واسِعُ العطاءِ كريمٌ جوَادٌ، وسيجزيه بها ويضاعِفُها له أضعافاً كثيرة، مَن يُقرِضُ غَيْرَ عَديم ولا ظلوم ﴿حَمِيدٌ﴾ أي: المحمود في جميع أفعاله وأقواله وشرعه وقَدَرِهِ لا إله إلّا هو، ولاّ ربَّ سِواهُ.

وقوله: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾. أخرج ابن أبي حاتم في «تفسيره» عن عبد الله بن مسعود: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**إن للشيطان لَمَّةً بابنِ آدم، وللمَلَكِ لَمَّة، فأمّا لَمَّةُ الشيطان فإيعادٌ بالشرِّ، وتكذيبٌ بالحق، وأما لَمَّةُ المَلَك فإيعادٌ بالخير وتصديقٌ**

بالحقّ، فمَنْ وَجَدَ ذلك فليعلم أنه من اللّهِ فليحمد الله، ومَن وَجَدَ الأخرَى فليتعوّذ من الشيطان».

ومعنى ﴿يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ﴾ أي: يُخَوِّفُكُم الفقر لتمسكوا ما بأيديكم فلا تُنفقوهُ في مرضاةِ اللّهِ ﴿وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ أي: مع نهيه إياكم عن الإنفاق خشية الإملاق، يأمركم بالمعاصي والآثام، والمَحارم، ومخالفة الخلّاق، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ﴾ أي: في مقابلة ما أمركم الشيطان بالفحشاء ﴿وَفَضْلًا﴾ أي: في مقابلة ما خوَّفكم الشيطان من الفقر ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ أي: يَسَعُ بعطائه جميع مخلوقاته عليم بحالهم.

نِعَمُ اللّه تعالى

تذكير الإنسان بنِعَمِ اللّهِ الكثيرة

يقول الله تبارك وتعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾ [لقمان: 20 ـ 21]. يقولُ تعالى مُنَبِّهاً خَلْقَهُ على نِعَمِهِ عليهم في الدنيا والآخِرَة بأنّه سَخَّرَ لَهُمْ ﴿مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مِن نجوم يَسْتَضيئون بها في ليلهم ونهارهم، وما يَخْلُقُ فيها مِن سَحابٍ وأمْطارٍ وَثَلْجٍ وبَرَدٍ، وَجَعْلِهِ إياها لهم سَقْفاً مَحفوظاً، وما خلق لهم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ مِن قَرارٍ، وأنهارٍ، وأشجار، وزُروعٍ، وثِمارٍ، وأسْبَغَ عَلَيْهِمْ نِعَمَهُ الظاهِرَةَ والباطِنَةَ مِنْ إرْسَالِ الرُّسُلِ وإنزالِ الكتُبِ، وإزاحةِ الشُّبَهِ والعِلَلِ، ثم مع هٰذا كلِّهِ ما آمَنَ الناسُ كُلُّهم، بل مِنْهُم ﴿مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ﴾ أي: في وجوده وتوحيده، وإرساله الرُسُلَ، ومجادلَتُه في ذلك ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ ولا مُسْتَنَدٍ من حُجَّةٍ صَحيحةٍ ولا ﴿كِتَٰبٌ﴾ مأْثورٍ صحيح. ولهٰذا قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾﴾ أي: مُـبِـيـنٍ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أي: لِهٰؤلاءِ المجادلين في اللّهِ ﴿ٱتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ أي: على رَسُولِهِ مِنَ الشرائع المُطهَّرَة ﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ أي: لم يكن لهم حُجَّةٌ إلا

اتباعَ الآباءِ الأقدمين والتقليدَ الأعمى، قال الله تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ أي: فما ظَنّكم أيُها المُحْتَجُون بصنيع آبائِهم أنهم كانوا على ضلالة وأنتم خَلَفٌ لَهُم فيما كانوا فيه، ولهٰذا قال تعالَى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾.

وفي أوائل سورة النحل يُذَكِّرُ اللّه عبادَهُ بنعمه المبثوثة أَنَّى كانوا، والظاهرة لعيونهم، والدالّة على العناية الإلٰهية بالإنسان وتكريمه، وتسخير ما في الكون لخدمته ومصلحته، يقول تعالى: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝١٠ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝١١ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝١٢ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ۝١٣ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝١٤ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٥ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ۝١٦ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝١٧ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٨﴾ [النحل: 5 ـ 18].

أخرج الإمام البيهقي في «شعب الإيمان» عن ابن عباس ﷺ أنه سَأَلَ رسولَ اللّهِ ﷺ عن معنى قوله عزّ وجلّ: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ فقال ﷺ: **«أما الظاهِرَة فما سَوَّى مِن خَلْقِكَ، وأما الباطِنَةَ فما سَتَرَ مِن عَوْرَتِك وَلَوْ أَبْدَاها لَقَلاكَ أَهْلُكَ فَمَن سِواهُم»**.

والحقيقة أن الإنسان مَغْمُورٌ بِنِعَمِ اللّه تعالى في كلِّ لحظة من لحظاتِ الليل

والنهار، وفي كل نَفَسٍ يَتَنَفَّسُهُ، وكلّ خفقةٍ يخفقها قلبُه، وكلّ مَنظرٍ تشاهده عينُه، وكلّ صَوْت تَسْمَعُه أُذنُه، وكل هاجِسٍ يخطر في ضميره، وكلّ فِكْرَةٍ يتدبَّرُها عقلُه؛ بل إنّ وُجودَ الإنسانِ ابتداءً نعمةٌ مِن اللّهِ وفضلٌ.

وإنّ مما يُسْخِطُ الإنسان، ويَحْرِمُه لَذَّةَ الرضا، غَفْلَتُه عن ربه، وأنه يَتَقَلَّبُ في نعمائه، وإلْفَتُهُ للنِعَم، وتعوُّدُه عليها، مما يُفْقِدُها قيمتها عنده، وذلك بسبب سُهولَة الحصول عليها، ونسمعه دائماً يقول: يَنقُصني كذا، وأريد كذا، ولا يقول: عِنْدِي كذا وكذا.

بينما العَبْدُ المؤمِنُ بخلاف ذلك يشعر دائماً بإحساسٍ عميق بفضل اللّهِ عليه وإحسانه العظيم، ونعمه التي تحيط به عن يمينه وشماله، ومن بين يديه ومِن خلفه، ومن فوقه ومِن تحته. إنه يشعر بنعمة الله عليه منذ كان في المهد صبياً، بل منذ كان في بَطن أُمِّه جنيناً، كان صَبِيّاً وليداً لا سِنَّ له تقطع، ولا يَدَ له تبطش، ولا قَدَمَ له تَسْعَى، فأجْرَى اللّهُ له عِرْقَيْن رَقيقَين في صدر أُمِّه يجريان لَبَناً خالِصاً، كامِلَ الغِذاء، دافئاً في الشتاء، بارداً في الصيف، وألقى اللّهُ محبّته في قلب أبوَيْه، فلا يطيب لهما طعام ولا شراب، ولا يهنأ لهما نوم ولا عيش، حتى يَكفِيَاهُ ما أهَمَّه، ويدفعا عنه كلّ سُوء.

وكان في بطن أمه جَنيناً، فَجعَلَ اللّهُ له قراراً مَكيناً، هَيَّأ له فيهِ أسبابَ الغِذاء والدفءِ، والتنفُّس، ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ (٢٠) فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ (٢١) إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ (٢٢) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ (٢٣)﴾ [المرسلات: 20 ـ 23]. المؤمن يشعر بنعمة الله عليه في كل شيءٍ حوله، ويرى في كل ذَرَّةٍ في الأرض أو في السماء مِنْحَةً مِن اللّه له، تيسِّر له معيشته، وتُعينه على القيام برسالته في الحياة.

آثار الكرم تدلُّ على الكريم

مقدمة

إن مَن يُلاحِظُ باستمرار ـ ملاحظة تحقُّق وتَبَصُّر ـ ما تدلُّ عليه أسماءُ اللّهِ الحُسْنَى: (الوَهّابُ، البَرُّ، الكريم، الواسِعُ)، ويلاحِظ مع ذلك أن اللّهَ تعالى هو القادر الذي لا يُعجزه شيء، فإنه لا بُدَّ أن يكون قلبه مُعَلَّقَ المَطامِع بهِباتِ اللّهِ

وبِرِّه، وكَرَمِهِ، وسِعَةِ عطائه، مُنْصَرِفاً عمّا سِوَاهُ مِن ذوي الحاجات، فَذَوُو الحاجاتِ مهما سَخَتْ نفوسُهُم، فإنّهم بُخلاءُ مُمْسِكُونَ أمامَ كثير مما يَدْخُلُ في حُدود مَطامِعِهِم، أو في حُدود ما يحتاجونه ـ ولو احتمالاً وبعد حين ـ إلّا أن يَقهَرُوا نفُوسهم بتكليفها العطاءَ والبَذْل. قال الله تعالى: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾ [الإسراء: 100].

حظ المسلم من هذه الأسماء

وحظ المسلم المؤمن باللَّهِ مِن هذه الأسماء، أَنْ يَتَخَلَّقَ بِشَيْءٍ مِمّا تَدلُّ عليه قَدْرَ الاستطاعَة، في الحُدودِ والمقاييسِ البَشَريَّة، فيكونَ وهّاباً برّاً كريماً، واسِعَ العَطَاءِ ممّا تَفَضَّلَ اللَّهُ به عليه مِن مالٍ أو جاه أو نفس، وذلك بالبَذْلِ السخِيِّ في أبوابِ البِرِّ التي حَضَّتْهُ على البَذْلِ فيها شريعَةُ اللَّهِ.

آثار الكريم في خلق الإنسان

يقولُ الدكتور محمد علي البار في كتابه «خَلْقُ الإنسان بين الطبّ والقرآن»: (إن المُتَبَصِّرَ بِخَلْقِ الإنسانِ يرى آثار نعمة اللَّهِ عليه، فَالمُخُّ مثلاً: يحتوي على ألف مليون خليَّة عصبِيَّة، وتسري الشرارة الكَهْرَبيَّةُ العَصَبِيَّة بسرعة تعادلُ ثمانين ميلاً في الساعَة الواحدة. والمُخُّ يَنقَسِمُ إلى نِصْفَيْن كُرَوِيَّيْن، النِصفُ الكُرَوِيُّ الأيمن يُمثّلُ النِصْفَ الأيسرَ مِن الجِسْمِ، والنِصفُ الكُرَوِيُّ الأَيسَرُ يمثّلُ الشِقَّ الأَيْمَنَ مِنَ الجسم).

ثم ينتقل للكلام عن العَيْن فيقول: (في كُلِّ شبكة عشرُ طبقات من العُقَدِ والخلايا العَصَبِيَّةِ الحَسَّاسَةِ للضَّوْءِ، مُتَّصِلَة بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، ويتركَّبُ العَصَبُ البَصَرِيُّ من مليون لِيفَة عَصبِيَّة، وهو لا يزيد سَمْكُهُ عن بضعة مليمترات).

ويقول الدكتور السيد الجميلي في كتابه: «الإعجاز الطبي في القرآن الكريم»: (مركز حاسّة البصر في العين التي تحتوي على مائة وثلاثين مليوناً من مُسْتَقْبِلات الضوء، وهي أطراف الأعصاب، يقومُ بحمايتها الجفنُ ذو الأهْدَاب الذي يَقيها ليلاً ونهاراً، والذي تُعَدُّ حركته لا إراديَّة، وهو الذي يمنع عنها الأَتْرِبَة، والذرّات، والأجسام الغريبة، كما يَكسِرُ من حِدَّة الشمس بما تُلْقِي

الأهْدابُ على العَيْنِ من ظِلال، وحَرَكَةُ الجِفْنِ عِلَاوَةً على هٰذه الوِقايَةِ، تَمْنَعُ جَفَافَ العين، أما السائلُ المحيطُ بالعين، والذيَ يُعْرَفُ باسم الدُّمُوع، فهو أقوى مُطهِّر).

أما عن الأُذُن فيقول الدكتور البار: (يوجد في الأذن عشرة آلاف خلية سمعية، ومن خلال نظام مُعَقَّد تتِمُّ عملية حفظ التوازن بطريقة ديناميكية فسيولوجية في منتهى التطوّر والروعة، بواسطة القنوات نصف الهلالية. وإن جزءاً من أذن الإنسان (الأذن الوُسْطَى) هو سلسلة من نحو أربعة آلاف حنية (قوس) دقيقة معقّدة، متدرّجَة بنظام بالغ، في الحجم والشكل، ويمكنُ القولُ بأن هٰذه الحنيات تُشبِهُ آلةً موسيقية. ويبدو أنها معقّدة، بحيث تلتقط وتنقل إلى المخ بشكلٍ ما، كلّما وَقَعَ صَوْتٌ أو ضَجَّةٌ، مِنْ قَصْفِ الرَّعْدِ، إلى حفيف الشَّجَرِ، فضلاً عن المزيج الرائع من الأصوات.

ويقول الدكتور خالص شلبي في كتابه «الطبُّ مِحرابِ الإيمان»:

* يحتوي الجسمُ البشري أكثر من (600) عضلة، وأكثر من (200) عظم، وتحوي العَضَلَةُ المتوسّطةُ الحجم على 10 ملايين ليف عضَلِيّ، وتحوي عَظْمَةُ الفَخِذ أكثر من 30 ألف عمود كِلْسِي خاص.

* وفي كل يوم يَتَنَفَّسُ الإنسان 25 ألف مَرَّة، يَسْحَبُ فيها 180 متراً مكعباً من الهواء، يتسَرَّبُ منها 6,5 متر مكعّب من الأوكسجين إلى الدم.

* وفي المعدة (35) مليون غُدَّة للإفراز، وفي العفج والصائم (الأمعاء) (3600) زغابة معوية للامتصاص في كل 1 سنتم^2، وفي الدقاق (2500)، مع العلم أن طول الأمعاء حوالي ثمانية أمتار.

* وفي الدماغ (12) مليار خليّة عَصَبِيَّة، و(100) مليار خلية وبقيّة استنادية تشكّل سَدّاً مارداً لحراسة الخلايا العَصَبِيّة مِن التأثّر بأيّة مادّة.

* وفي الدم الكامل (25) مليون كُرَيَّة حمراء لنقل الأوكسجين، و(25) مليار كَرَيَّة بيضاء لمقاومة الجراثيم ومناعَة البَدَن، وهي بخمسة أشكال، ومليون مليون صفيحة دموية لحفظ الدم ضِدّ النزف، ولإيجاد التخثّر في أي عِرْقٍ نازِفٍ.

* ويُعتبر الكبد أكبر غُدَد الإنسان، إذْ يَزِنُ (1,5) كليو غرام، ويحوي (300) مليار خلية يمكن أن تتجدَّد كلّياً خلال أربعة أشهر، فخلاياه أسرع من خلايا الجنين المعروفة بسُرعَةِ الانقِسام، وللكبد وظائف كثيرة.

إن هٰذا الكمَّ الهائِلَ من النِعَم، والكَرَم الفَريدِ هو مِن عطاءِ كريم، هو اللّٰهُ جَلَّ جلالُه، وقد لَفَت نظرَ الإنسانَ إلى التأمُّلِ في نفسه، ليَرَى آثار كرم الكريم وقدرته، فقال تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات: 21] وهٰذه النِعَم وهذا العطاء في أرقامه الهائلة هو مُحَدَّدٌ مُقَدَّرٌ في كلّ إنسان، بل ومُتَساوٍ في أكثره بين إنسان وإنسان، ممّا يُدلُّ على الخالق الواحد الذي خلق الإنسان فَقَدَّرَهُ وأكرمه، قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: 2] وفي سورة الرحمٰن التي هي عَروس القرآن يذكِّرنا اللّٰهُ سبحانه بالعديد من نِعَمِهِ فيقول: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴿٤﴾ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴿٥﴾ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ﴿٩﴾ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ﴿١١﴾ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ﴿١٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴿١٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴿١٤﴾﴾، وتذكيراً بهٰذه النِعَم تكرَّرت هٰذه الآيَة: ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إحدى وثلاثين مَرَّة في هٰذه السورَة، إنه كرم اللّهِ، إنه عطاؤه لهٰذا الإنسان في الحياة الدنيا، وعطاؤه في الآخرة أكبر لمن خاف مقام ربّه جلّ جلاله.

شُكرُ النِعَم

معنى الشكر

الشكرُ لُغةً: الثناء على المُحسِن بما أولاه من المعروف، وفي الاصطلاح الشرعيّ: هو ظهورُ أثر نعمة الله على لسان عَبدِهِ، وعلى قلبه، وعلى جَوارِحِه؛ أما ظهورُه على لسانه فَثَناؤُه واعترافُه، وأما على قلبه فشهوده ومَحَبَّتُه، وأما على جوارحه فانقياده وطاعته. ومِن هنا قيل: لا يكونُ العبد شكوراً لربّه إلّا باجتماع ثلاثة أركان: الأول: اعترافه بنعمة الله عليه، والثاني: الثناء عليه بها، والثالث:

الاستعانة بها على مرضاته، وقيل: الشكرُ هو استفراغ الطاقَةِ في الطاعَةِ. وقيل: الشكر استعمال نعم اللّهِ تعالى فيما يُحِبّ، وقيل: شكر النعمة هي مشاهَدَة المِنَّة، وحفظ الحُرْمَة، والقيام بالخدمة.

أهمية الشكر

الشكرُ خُلُقٌ مِن أخلاق الرُّبُوبِيَّة، قال اللّهُ تعالى: ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: 17] وقد أمرَ اللّهُ سُبْحانه عباده به، ونهى عن ضِدِّه، وأثنى على أهله، ووصف به خَواصَّ خَلْقِهِ، وجعله مفتاح كلام أهلِ الجنَّة ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ [الزمر: 74] ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: 10].

والشكرُ مَقامُ الأنبياءِ ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: 13] وهو مأمورٌ به مُقابل نِعَم اللّهِ الكثيرة وأهمّها نعمة الهداية ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة: 151، 152].

إن شُكرَ النِعَم دليل على سَلامة المقاييس في النفس البشرية، فالخَيْرُ يُشْكَرُ؛ لأن الشُكرَ هو جزاؤه الطبيعي في الفِطْرَةِ السليمة. والنفس التي تشكرُ اللّهَ على نِعَمِهِ تراقِبُه في التَصرُّف بهذه النِعَم، بلا بَطَرٍ ولا اسْتِعلاءٍ، وبلا استخدام للنِعَم في الأذى والشرّ. والشكرُ لِلّهِ على نِعَمِهِ يُزكي النفس البشريّة ويُطهّرها، ويُقرّبُ صاحِبَها مِن الله تعالى، ويدفعه للعمل الصالح، ويزيد مِنَ النِعَم ويُنمّيها ويباركها ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: 7]. وبالشكر تقوى الروابط الاجتماعية بين المسلمين.

الكفر ضد الشكر

ولعلوّ منزلة الشكر ومقامِه الرفيع، فقد بذل عَدوُّ اللّهِ إبليسُ اللَعِينُ جهده لِصَرْفِ الناس عنه، وإيقاعهم في الجحُودِ والكفر، قال تعالى مخبراً عنه حين أقسم على إغواء بني آدم: ﴿ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن

شَمَآئِلِهِمْۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف: 17].

والكفر بِنِعَم اللّهِ يكون بِعَدَم شكرِها، أو بإنكار واهِبِها، ونِسْبَتِها إلى النَفْس وعلمها وخبرتها وحِذْقِهَا ومهارتها، وإلى الكدِّ والمعي الشخصي. كما قال قارُون حين أُمِر بشكر اللّهِ على ما آتاه مِن غِنًى وفضل: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًاۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴿٧٨﴾﴾ [القصص: 78] وقد يكون الكفران بسوء استخدام النِعَم، وبالبَطَرِ والكِبْرِ على الناس فيها، واستخدامِها في الملذات، والشهوات، والفساد، كما هو حاصِلٌ في غالبية الناس في زماننا هٰذا.

جزاء كفران النعمة

وقد توعَد اللّهُ من لا يَشْكرُ نِعَمَهُ بالعذاب الشديد فقال: ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: 7]، والعَذابُ الشديد قد يكون بِمَحْقِ النِعمةِ عَيْناً بذهابها، أو سَحْقِ آثارِها في الشعور، فكم من نِعْمةٍ تكونُ نِغْمَةً يشقى بها صاحبها كالمال والجمال، بل وربما يَحْسُدُ الخالين منها. وقد يكون عذاباً مؤجَلاً إلى أَجَلٍ مُسَمًى في الدنيا أو الآخرة، ولكنه واقِعٌ لا مَحالَة بسبب الكفر والجحودِ لأنعُم اللّهِ عز وجَل. قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴿١١٢﴾﴾ [النحل: 112].

فوائد الشكر

والشكر لا تعود عائدته على اللهِ تعالى، وإنما تعود فوائده على الإنسان الشاكِر، وكذلك الكفر، فإنما يرجع على صاحبه بالبوار والخَسارَة؛ لأن اللّهَ غَنِيٌّ عن العالمين، لا يزيده شكر شاكر، ولا يُنْقِصُهُ كُفْرُ كافِر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴿١٢﴾﴾ [لقمان: 12].

ولُبُّ الأمر وغايته: اعْتِرَافُ العَبْدِ بأن جميعَ النِعَمِ ابتدأَتْ منه سبحانَهُ

وتعالى، وأنها مَحصُورَةٌ فيه، ليس لأَحَدٍ معه يَدٌ في شيءٍ منها، قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾ [النحل: 53]، والاستعانَةُ به سبحانه على شكرها: ﴿رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ﴾ [النمل: 19].

أخرج الإمام أبو داود السجستاني في «سننه»، عن مُعاذ بن جبل ﷺ قال لي رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«يا معاذُ! واللَّهِ إني لأُحِبُك، واللَّهِ إنّي لأُحِبُّكَ»**، فقال: **«أوصيكَ يا مُعاذُ: لا تَدَعَنَّ في دُبُرِ كلِّ صَلاةٍ تَقُولُ: اللهمَّ أعِنِّي على ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وحسن عبادَتِك»**.

أنواع الشكر وكيفيّته

الشكرُ يكون على أنواع ثلاثة: بالجنان، واللسان، والأركان.

أما شكر الجنان

فيكون بالاعتراف بالنِعْمَةِ باطناً للَّهِ، وعدم إضافتها لغيره، ومن ثَمَّ الثناء عليه ومحبَّتِهِ، والرضا والامتنان القلبي بما أعطاه. ومن آدابها أن يستكثر قليلها، ويعلم أنها وصلت إليه منّةً وفضلاً بغير استحقاق منه لها، فلا تزيده إلا تواضعاً وحُبّاً للمنعم وطاعة له.

وأما شكر اللسان

فيكون بحمد اللَّهِ والثناء عليه، بوصفه بالجود، والتحدّث بالنعمة: ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ۝١١﴾ [الضحى: 11] وأن يُرَى أثرها عليه، أخرج الترمذي: **«إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده»**.

وأما شكر الجوارح

فهو الترجمة العملية لشكر اللسان والقلب، ويكون بإكرام النعمة وعدم الاستخفاف بها، واستعمالها في مرضاته وطاعته سبحانه وتعالى، فلا ينظر إلى ما حرّم الله، ويكون أيضاً بالاجتهاد بالطاعة والعبادة وذكر الله عز وجل وترك المعاصي.

الصنف الرابع من الأسماء الحسنى وهو ما يعود إلى الرحمة

مقدمة

بعد أن فرغنا من استعراض أسماء الله الحسنى التي تدخل في باب الهبة والعطاء، نأتي على ذكر مجموعة أسماء الله الحسنى التي تدخل في باب الرأفة والرحمة.

فالإنسانُ في جميع أطوار حياته بأشدّ الحاجة إلى مَنْ يَرْحَمُه وَيرْأَفُ به، ولا يملِكُ الرحمةَ الحقيقية به في دَفْعِ الضُرّ عنه، وجَلْبِ الخَيرُ له، وإفاضَةِ النِعَم عليه، ظاهِرها وباطِنها، جَلِيلِها ودَقيقها، مادِّيها ومَعْنَويِّها، عاجِلها وآجِلِها إلّا خالِقُهُ، وَخالِقُ كلِّ شيءٍ في السمٰوات والأرض، وَمَن بِيَدِهِ ملكوتُهما.

من هنا جاء في المأثور من أسماء اللّه الحُسْنَى: (الرحمٰن، الرَّحِيم، الفَتّاحُ، اللطيف، الرؤوفُ، الودود).

29 ــ الرحمن

معنى اسم الله «الرحمن»

هو في اللغة العربية: صِفَةٌ مُشَبَّهَةٌ مأْخُوذَةٌ مِنَ الرَّحْمَةِ، ومعنى الرَّحْمَةِ في المَخْلُوقِ: رِقَّةٌ في القَلْبِ، ولٰكِنّ هٰذا المعنى لا يَليقُ بالخالِقِ سبحانه، وإنما المُرادُ منها بالنسبة له: الإنْعامُ، فمعنى الرَّحمٰنِ: المُنْعِمُ بجلائل النِعَم على مُسْتَحِقِّها وغير مستحقها. قال اللّهُ تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾ [الإسراء: 110].

وقد ورد هٰذا الاسم في القرآن الكريم في سبعة وخمسين موضعاً في سور وآيات متفرّقة. وهناك سورة في القرآن تسمَّى: بالرحمٰن، وهي السورة الخامسة والخمسون، وهي تبدأ بهٰذا الاسم الجليل. كما ورد هٰذا الاسم في الحديث الجامع لأسماء الله الحسنى الذي أخرجه الترمذي وابن ماجه، وهو الاسم الثاني فيه بعد اسم الجلالة: (الله).

أقوال العلماء في تفسيره

يقول الإمام أبو حامد الغزالي في كتابه «المَقْصِد الأَسْنَى في شرح أسماء اللّهِ الحسنى» في تفسير هٰذا الاسم: (الرحمٰن: مُشْتَقٌّ من الرَّحْمَةِ، والرَّحْمَةُ تَسْتَدْعي مَرْحُوماً، ولا مَرْحُومَ إلّا وهو مُحْتاجٌ، وهو الذي تَنْقَضِي به حاجَةُ المُحتاجِ من غيْرِ قَصْدٍ وإرادَةٍ وعنايةٍ، فالمُحتاجُ لا يُسَمَّى رحيماً. والذي يريد قضاءَ حاجَةٍ ولا يَقضيها: فإن كان قادِراً على قضائها لا يسمى رَحيماً، إذْ لو تَمَّتِ الإرادَةُ لَوَفَّى بها، وإنْ كان عاجزاً، فقد يُسَمَّى رحيماً باعتبار ما اعْتَوَرَهُ مِنَ الرِقَّةِ، ولكنه ناقِصٌ. وإنما الرحْمَةُ التامَّةُ:] إفاضَةُ الخَيْر على المحتاجين، وإرادته لهُم، عِنايَةً بهم. والرَّحمَةُ العامَّةُ هي التي تَنَاوَلُ المُسْتَحِقَّ وغيرَ المُسْتَحِقّ، ورَحمةُ اللّهِ تامَّةٌ عامَّةٌ. أما تَمامُها، فَمِنْ حيثُ أراد قضاءَ حاجاتِ المُحتاجِينَ وقضاها. وأمَّا عُمومُها فمِنْ حيثُ شُمولُها المُسْتَحِقَّ وغَيْرَ المُسْتَحِقّ، وعَمَّ الدنيا والآخِرَة، وتناولَ الضَّروراتِ والحاجاتِ والمَزايا الخارجية عنها، فهو الرَّحيمُ المُطلقُ حقاً.

والرحمة عند المخلوقات لا تخلو من رِقَّةٍ مُؤْلِمَةٍ تعتري الرحيمَ، فَتُحَرِّكُهُ إلى قضاءِ حاجة المَرحوم، والربُّ تعالى مُنَزَّهٌ عنها. فلعلَّكَ تَظُنّ أن ذلك نُقْصَانٌ في معنى الرَّحْمَةِ، فاعْلَمْ أنَّ ذَلِكَ كَمالٌ، وليس بنُقْصانٍ في معنى الرَّحْمَةِ. أَمَّا أنه ليس بنُقْصَانٍ، فمِنْ حيث إن كمال الرحمة بكمال ثَمَرَتِها، ومهما قُضِيتْ حاجَةُ المَحتاج بكمالها، لم يكن للمرحوم حَظٌ في تَأَلُّم الراحِم وتَفَجُّعِهِ، وإنما تألُّمُ الراحِم لِضَعْفِ نَفْسِهِ ونقصانها، ولا يزيدُ ضعفُها في غَرَضِ المحتاجِ شيئاً بعد أن قُضِيَتْ كَمالُ حاجَتِهِ.

وأما أنه كمالٌ في معنى الرَّحمَةِ، فهو أن الرَّحيمَ مِن رقةٍ وَتَأَلُّم يكادُ يَقْصِدُ بِفِعْلِهِ دَفْعَ الرِقَّةِ عن نفسه، فيكونُ قد نظر لنفسه، وسَعَى في غَرَضِ نَفسه، وذلك

يَنْقُصُ عن كمالِ معنى الرَّحْمَةِ. بل كمالُ الرَّحمةِ أن يكونَ نظرَ إلى مَرْحُومٍ لأجلِ المَرْحُومِ، لا لأَجْلِ الاسْتِرَاحَةِ من أَلَمِ الرِقَّةِ.

والرَّحمٰنُ أَخَصُّ مِنَ الرَّحيم، لذلكَ لا يُسَمَّى به غيرُ اللّٰهِ، و(الرَّحِيمُ) قد يُطلقُ على غيره، فهو من هذا الوَجه (أي: اسم الرحمٰن) قريبٌ من اسم (الله) الجاري مَجْرَى العَلَم، وإن كان هٰذا مُشْتَقاً مِن الرحمةِ قطعاً، ولذلك جمعَ اللّٰهُ بينهما فقالَ: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾ [الإسراء: 110].

فلزِمَ مِن هٰذا الوجْهِ، ومِن حيثُ منعنا الترادُف في الأَسْماءِ المُحْصَاةِ، أَنْ يُفَرَّقَ بين معنى الاسمَيْن. فَبالحَرِيِّ أن يكونَ المَفْهُومُ من الرحمٰنِ نوعاً مِنَ الرَّحمةِ هي أَبْعَدُ مِنْ مَقْدُوراتِ العِبادِ، وهي ما يتعلّقُ بالسعادَةِ الأُخْرَوِيَّةِ، فالرحمٰنُ: هو العَطُوفُ على العِبادِ بالإيجادِ أوّلاً، وبالهداية إلى الإيمانِ وأسباب السعادة ثانياً، والإسْعادِ في الآخِرَةِ ثالثاً، وبالإنعام بالنظر إلى وجهه الكريم رابعاً). انتهى كلام الغزالي.

ويقول الإمامُ مجدُ الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري في كتابه «النهاية في غريب الحديث والأثر» في تفسير الرحمٰن: (اسم مشتقٌّ من الرحْمَةِ، وهو مِن أبنية المُبالَغَةِ و(رحمٰنُ) أَبْلَغُ مِن (رحيم)، و(الرحمٰنُ) خاصٌّ لِلَّهِ، لا يُسَمَّى به غيْرُهُ، ولا يوصَفُ. و(الرَّحيمُ) يُوصَفُ به غيرُ اللّٰهِ تعالى، فَيُقالُ: رَجُلٌ رحيمٌ، ولا يُقالُ: رحمٰن.

وذو الرحم والأرحامُ هم: الأقارِبُ، ويَقَعُ على كل من يجمعُ بَيْنَكَ وبينه نَسَبٌ) انتهى كلام ابن الأثير.

أثر هٰذا الاسم على العبد

حَظُّ العبد من اسم الرحمٰنِ: أَنْ يَرْحَمَ عِبادَ اللّٰهِ تعالى الغافِلينَ، فَيَصْرِفَهُمْ عن طريقِ الغَفْلَةِ إلى اللّٰهِ بالوَعْظِ والنُّصْحِ، بطريقِ اللُطفِ دونَ العنْفِ، وأن يَنظُرَ إلى العُصَاةِ بِعَيْنِ الرَّحْمَةِ لا بِعَينِ الإيذاءِ، وأن تكونَ كلُّ مَعْصِيَةٍ تَجْري في العالم كَمَعْصِيَةٍ له في نفْسِهِ، فلا يألو جُهْداً في إزالتها بقدر وُسْعه رَحْمةً لذلك العاصي

أن يَتَعَرَّضَ لِسَخَطِ اللَّهِ تعالى ويَسْتَحِقَّ البُعْدَ عن جوارِهِ.

وأيضاً، فاللَّهُ يحبُّ أن يرى الرَّحْمَة تسودُ بين عبادِه المؤمنين، وأن يكون المجتمع المسلمُ مُتراحِماً لا تَعَالٍ فيه، ولا تكبُّر، ولا تَجَبُّر، ولا يظلم أحدٌ أحداً، بل يحنو الغنيُّ على الفقير، والقويُّ على الضعيف، ويأخُذ كل مسلم بيد أخيه إلى الخير، قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**الراحِمُونَ يرحمهم الرحمٰن تباركَ وتعالى، ارْحمُوا مَن في الأرض يرحمكم مَن في السماء**» (أخرجه أبو داود والترمذي وأحمد) وقال: «**مَن لا يَرْحَمْ لا يُرْحَم**» (أخرجه أحمد).

الإسلام دين الرحْمَة

تعريفها

الرحمة صِفَةٌ كريمة، وخُلُقٌ حَسَنٌ، وعاطِفَةٌ إنسانية نبيلة، تَجْعَلُ المَرْءَ يَشْعر مع الآخرين، ويَرِقُّ لآلامِهم، ويَسْعَى لإزالتها، ويأْسَى عليهم، فَيَتَمَنَّى لهم الهُدى، ويَعْفُو ويَصْفَحُ عن أخطائهم وزلّاتهم.

رحمة الله تعالى

والرَّحْمَةُ صِفَةٌ لِلَّهِ جلَّ وعلا، فإنَّ رَحْمَتَه شَمِلَتْ الوُجُودَ بأَسْرِهِ، ﴿**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**﴾ [الأعراف: 156]. ولذلك يقوم الملائكة بالثناء على الله تعالى بصفة شمولية الرحمة وسَعَتِها قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾**﴾ [غافر: 7].

وأخرج الإمامُ البخاريُّ في «صحيحه» في كتاب الأدب، عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: «قَدِمَ على النبي ﷺ سَبْيٌ، فإذا امرأةٌ من السَّبْي قد تَحْلُبُ ثَدْيها تَسْقِي، إذْ وَجَدَتْ صَبِياً في السَّبْي أَخَذَتْهُ فألْصَقَتْهُ بِبَطْنِها وأرضَعَتْهُ، فقالَ لنا النبي ﷺ: «**أتَرَوْنَ هٰذه طارِحَةً وَلَدَهَا في النار؟**» قلنا: لا، وهي تَقْدِرُ على أن لا تَطْرَحَهُ، فقال: «**اللهُ أَرْحَمُ بِعِبادِهِ مِنْ هٰذهِ بِوَلَدِها**».

وكثير من أسماء الله الحسنى يتضمَّن معاني الرحمة والفضل والعفو، وقد جاء في الحديث القدسي الذي أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» في كتاب التوحيد: «**إنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبي**» أي: إنَّ تَجاوُزَهُ عن خطايا البَشَرِ يَسْبِقُ اقْتِصاصَهُ منهم، وسَخَطَه عليهم، وبذلك كان أفْضَلَ الرُحَماءِ، قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١١٨﴾ [المؤمنون: 118].

رحمة النبي ﷺ

وعلى قدرِ حظ الإنسان من هذا الخُلُقِ الكريم تكون عَظَمَتُه، ومِن هنا كان الأنبياءُ أَرْحَمَ الناسِ، وكان خاتَمُهُم مُحَمَّدٌ ﷺ أَوْفَرَهم نَصيباً مِن هٰذا الخُلُقِ العالي، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: 107] وقال تعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ [التوبة: 128]. ولا شكَّ أن رحْمَتَهُ الغامِرَة هي التي جعلته يألَفُ طِباعَ الخَلْقِ، ويُقَرِّبُ بَعيدَهُمْ، ولَوْلا بَشاشَتُهُ التي لا تَنْطَفِئ، ورحمَتُهُ التي لا تَغيضُ، ما اسْتَطاعَ أن يُؤَلِّفَ الجُموع، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾ [آل عمران: 159]، فهو عليه الصلاة والسلام أَزْكى عِبادِ اللّهِ رَحمةً، وأَوْسَعُهم عاطِفَةً، وأَرْحَبُهُم صَدْراً. أخرج الإمام الدارمي في «سننه» عنه ﷺ أنه قال: «**أنا رَحْمةٌ مُهْداةٌ**».

وقد لازَمَهُ خُلُقُ الرَّحْمَةِ الرفيعُ حتى في أعصب الساعات، عندما ذهب إلى الطائف يدعو ثقيفاً إلى الإسلام، فآذَوه حتى رَشَقُوهُ بالحجارَةِ وأدمَوْا قَدَمَيْه، فَخَيَّرَهُ اللّهُ أن يُعاقِبَهُمْ فَيُطبِقَ عَلَيْهِم الجبالَ، فقال عليه الصلاة والسلام: «**بل أرجو أن يُخرِجَ اللّهُ مِن أصْلابِهِمْ مَن يَعْبُدُ اللّهَ وَحْدَهُ، لا يُشرِكُ به شيئاً**». وأخرجه الإمام أحمد بسنده إلى ابن مسعود قال: تكلّم رجلٌ من الأنصار كلمة فيها مَوْجِدَة على النبي ﷺ، فلم تُقِرَّني نفسي أنْ أَخبَرْتُ بها النبي ﷺ، فَلَوَدِدْتُ أني افتَدَيْتُ منها بِكلِّ أهْلٍ ومالٍ، فقال: «**قد آذَوا موسى عليه الصلاة والسلام أكثرَ من ذلك فصبَرَ**» ثم أخبر أن نبياً كذَّبَه قومُه، وشَجُّوه حين جاءَهم بأمْرِ اللّهِ، فقال وهو يمسَحُ الدمَ عن وجهه: «**اللهمّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فإنهم لا يعلمون**».

الرحمة المطلوبة من المؤمنين

إن الرحمة التي يأمُرُ بها الإسلامُ، ليست رَحْمَةً خاصَّةً تَقْتَصِرُ على الأقاربِ والأصحابِ، ولكنها رحمةٌ عامَّةٌ تَشْمُلُ الأباعِدَ، بل كلُّ مَن في الأرضَ، وقد أوْصَى رسولُ اللَّهِ ﷺ بها، وجعلها من كمال الإيمان، قال ﷺ: «**لَن تؤمِنُوا حتى تراحَمُوا**» قالوا: يا رسولَ اللَّهِ! كُلّنا رحيم، قال: «**إنه لَيسَ بِرَحْمَةِ أحدِكُم صَاحِبَهُ، ولكنَّها رَحْمَةُ الناسِ، رحْمَةُ العامَّة**» (أخرجه الحاكم في المستدرك والطبراني عن أبي موسى).

فالمؤمن يلقى الناسَ جميعاً وفي قَلْبه لهم عَطْفٌ وبرٌ، ورَحْمَةٌ وحَنانٌ، فهو يوسِعُ لهم، ويُخَفِّفُ عنهم جهد ما يستطيع، ولا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إلّا مِنْ شَقِيٍّ مَقْطوع الصِلَةِ باللَّهِ، وأَبْعَدُ القلوبِ مِن اللَّهِ القَلْبُ القاسِي، ولذلك حذَّرَ الإسلامُ مِن القَسْوَةِ، واعتبرها سِرَّ الشُّرودِ عن أمرِ اللَّهِ وصِراطِهِ المُسْتَقيم، قال اللَّهُ تعالى: ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد: 16].

وقد وردت أحاديثُ كثيرة تحثُّ على الرحمة العامَّة، فمن ذلك ما أخرجه البخاريّ، عن جرير بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ لاَ يَرْحَمُ النَاسَ**». وأخرج أبو داود السجستاني في «سننه» عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**الراحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرحمْنُ، ارحموا أهلَ الأرضِ يَرْحَمْكم من في السماء**».

إلى مَن تتوجه الرحمة؟

وأولى الناس بالرحمة هم ذَوُو رَحِمِ الإنسان، أخرج الترمذي في سننه: «**الرحِمُ شُجْنَةٌ مِن الرَّحمٰنِ، فَمَنْ وَصَلَها وَصَلَهُ اللَّهُ، ومَن قَطَعَها قطعه اللَّهُ**». وأحَقُّهم بِبِرِّه منهم أَمَنُّهم عليه وأولاهم به، وهم والداه، قال الله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء: 24] ثم أولادُه، ومِمّن تجب الرحمة بهم الأيتام والأرامِل، فَهُم بحاجَةٍ إلى يَدٍ رَحِيمةٍ تَمْسَحُ

آلامَهم وتُواسِي جِراحَهُم، وكذلك المَرْضَى وأصحابُ العاهات الذين هم في حاجَةٍ إلى الرفقِ والرعايَةِ، لم يَنْسَهُم الإسلامُ مِن رحمته، ومِن الرحْمَةِ: الرِفْقُ بالحيوان، والإحسانُ إليه، ونهى عن إرهاقه بالعمل وإجاعته، وحَذَّر من قَتْلِهِ عبثاً واتِخاذه هَدَفاً للرمْيِ، وحذّر من فجع الطيور بأولادها، ومن حرق الحيوان ووسْمه، وكان مِن مظاهر الرفق والرحمة عند المسلمين أن أقاموا أوقافاً خيرية لإطعام الجائعين، وكَسْوَةِ العُراة، وإيواء الغرباء وعلاج المرضى، وكفالة الأيتام.

30 ـ الرحيم

معناه: الرحيم مأخوذ من الرحمة أيضاً كالرحمٰن، والرحمٰن أَخَصُّ من الرحيم، والمُراد من الرَّحيم: المُنْعِمُ بدقائِقِ النِعَم وصِغَارِهَا، على مستحقها وغير مستحقها، قال اللّهُ تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: 163].

وقد ورد هٰذا الاسم في القرآن الكريم في مائة وخمسة عشر موضعاً، وورد في الحديث الشريف الجامع لأسماء الله الحسنى.

أقوال العلماء في معناه

يقولُ الإمام الغزاليُّ في كتابه «المَقْصِد الأسنى في شرح أسماء اللّهِ الحُسْنَى» في شرح هٰذا الاسم: (الرَّحمٰن أخصُّ من الرَحيم، ولذلك لا يُسمَّى بالرحمٰن غيرُ اللّهِ تعالى، والرحيمُ قد يُطلَقُ على غيره، وحَظّ العبد من اسم الله الرحيم: أن لا يَدَعَ فاقَةً لمُحتاجٍ إلّا يَسُدُها بقَدْرِ طاقَتِهِ، ولا يَتْرُكُ فقيراً في جواره وبلده إلّا ويَقومُ بتعهّده، ودفعِ فَقْرِهِ، إما بمالِهِ أو جاهه، أو السَعْي في حَقِّهِ بالشفَاعَةِ إلى غيره، فإن عجِزَ عن جميع ذلك، فيُعينُهُ بالدُعَاء، وإظهارِ الحُزْنِ لِسَبَبِ حاجَتِهِ رِقَّةً عليه وعَطْفاً، حتى كأنه مُساهِمٌ له في ضُرِّه وحاجته.

امتحان الرحيم عبَاده

ولعلك تقولُ: ما معنى كونه تعالى رحيماً، وكونه تعالى أرحَمَ الراحمين، والرحيمُ لا يَرَى مُبْتَلى ولا مَضْرُوراً ولا مُعَذَّباً ومَريضاً، وهو يقدر على إماطَةِ ما

بهم إلا ويُبادِرُ إلى إماطَتِهِ، والربُّ تعالى قادِرٌ على كفايَةِ كُلِّ بَلِيَّةٍ، ودَفْعِ كُلِّ فَقْرٍ، وإماطَةِ كلِّ مَرَضٍ، وإزالَةِ كلِّ ضَرَرٍ، والدُنيا طافِحَةٌ بالأمراض والمِحَنِ والبلايا، وهو قادِرٌ على إزالتها جميعها، وتارِكٌ عِبادَه مُمْتَحَنِينَ بالرَّزايا والمِحَنِ؟

فجوابكَ أن الطِفْلَ الصَغِيرَ، قد تَرِقُّ لَهُ أُمُّهُ فتمنَعَهُ من العملية الجراحية، والأبُ العاقِلُ يَحمِلُهُ عليها قَهْراً، والجاهِلُ يَظُنّ أنَّ الرَّحيمَ هي الأمُّ دُونَ الأب، والعاقِلُ يَعْلَمُ أن إيلامَ الأب إياه بالعملية من كمال رحمته وعطفه وتمام شفقته، وأن الألَمَ القليل، إذا كان سبباً لِلَذَّة الكثيرة لم يكن شَرّاً، بل كان خيراً.

والرَّحِيمُ يُرِيدُ الخيرَ للمرحوم لا مَحالَة، وليس في الوجودِ شَرٌّ إلّا وفي ضمنِهِ خَيْرٌ، ولو رُفِعَ ذلكَ الشَرُّ لبَطُلَ الخَيْرُ الذي في ضمنه، وحصل بِبُطْلانِهِ شَرٌّ أعْظَم من الشَّرِّ الذي يَتَضَمَّنُهُ، فاليَدُ المتآكِلَةُ قَطْعُها شَرٌّ في الظَاهر، وفي ضمنها خَيْرٌ جَزِيلٌ، وهو سَلامَةُ البَدَن، ولو تُرِكَ قطعُ اليَدِ لَحَصَلَ هلاكُ البَدَن، ولكان الشَرُّ أَعْظَمُ، وقَطْعُ اليَدِ لأَجْلِ سَلامَةِ البَدَن شَرٌّ في ضِمْنِهِ خَيْرٌ. ولكن المرادَ الأولَ السابقَ إلى نظر القاطع السلامَة التي هي خيرٌ محضٌ، ثم لما كان السبيلُ قطعِ اليَدِ لأَجْلِهِ، وكانتِ السلامَةُ مطلوبَةً لذاتِها أوّلاً، والقطعُ مَطلوباً لِغَيْرِهِ ثانياً لا لِذاتِه، فهما داخلان تحت الإرادة. ولكن أحدَهما مُرادٌ لذاتِه، والآخَرُ مُرادٌ لغيره، والمرادُ لِذاتِهِ قَبْلَ المُرادِ لغيره، ولأَجْلِهِ قال تعالى في الحديث القُدْسي الذي أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى: «**رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضبي**»، فَغَضَبُهُ إرادَتُه للشَرّ، والشَرُّ بإرادته، وَرَحْمتُهُ إرادَتُه للخَيْرِ، والخيرُ بإرادته، ولكن أرادَ الخَيْرَ للخَيْرِ نفسِهِ، وأرادَ الشَّرَّ لا لذاته، ولكن لِمَا في ضِمْنِهِ من الخير، والخَيْرُ مُقْتَضىً بالذات، والشَّرُّ مُقْتَضًى لِغَيْرِهِ، وكُلٌّ مُقَدَّرٌ، وليس في ذلك ما يُنافي الرحمةَ أصلاً.

فالآن إن خَطَر لك نَوْعٌ منَ الشَرّ لا ترى تحتَه خيراً، أو خَطَرَ لكَ أنّه كان تَحصيلُ ذلك الخَيرِ مُمْكِناً لا في ضِمْنِ الشَرّ، فاتَّهِم عَقْلَكَ القاصِرَ في أحَدِ الخاطِرَيْنِ:

أما في قولك: إن هٰذا الشَرّ لا خَيْرَ تَحْتَهُ، فإنّ هٰذا مما تَقْصُرُ العُقُولُ عن مَعْرِفَتِهِ، ولَعَلَّكَ فيه مِثْلُ الصَبِيِّ الذي يرى العَمَلِيَّةِ الجراحية شَرّاً مَحْضاً، أو مِثْلَ

الغَبيّ الذي يَرى القَتْلَ قِصاصاً شراً محضاً؛ لأنه يَنْظُرُ إلى خُصُوص المَقْتُولِ؛ لأنه في حَقِّه شَرٌ مَحْضٌ، ويَذْهَلُ عَنِ الخَيْرِ العام الحاصِلِ للناسِ كافَّةً، ولا يَدْرِي أنَّ التوصُّلَ بالشَّرِّ الخاصّ إلى الخَيْرِ العام خَيْرٌ مَحْضٌ، ولا ينبغي للخير أن يُهْمِلَهُ.

أوْ اتَّهِمْ عَقلَكَ في الخاطِرِ الثاني: وهو قولُكَ إنَّ تَحصيلَ ذلك لا في ضمن ذلك الشرِّ مُمكِنٌ؛ فإنّ هٰذا أيضاً دقيقٌ غامِضٌ، فَلَيْسَ كلُّ مُحالٍ وممكن ممّا يُدرَكُ إمكانُه واسْتِحَالَتُه بالبَديهَةِ، ولا بالنَّظرِ القَريبِ، بل عُرِفَ ذلك بنظرٍ غامضٍ دَقيقٍ يَقْصُر عنه الأكثرون.

فاتَّهم عَقْلَكَ في هٰذين الطَرَفَيْن، ولا تَشُكَّنَّ أَصْلاً في أَنَّه أرحمُ الراحمينَ، وأَنَّهُ سَبَقَتْ رحْمَتُه غَضَبَهُ، ولا تَسْتَرِب في أنّ مُريدَ الشرِّ للشرِّ لا للخَيْرِ غَيْرَ مُسْتَحِقٍ لاسْمِ الرَّحْمَةِ). انتهى كلام الغزالي.

الفرق بين الرحمٰن والرحيم

قال ابن جرير الطبري في تفسيره: الرحمٰن الرحيم: اسمان مشتقان من الرحمة عَلَى وجه المبالغة، (ورحمان) أشدّ مبالغة من (رحيم)، وفي الأثر عن عيسى عليه السلام أنه قال: (الرحمٰن) رَحمٰن الدنيا والآخرة، و(الرحيم) رحيم الآخرة. وقال أبو علي الفارسي: الرحمٰن اسم عام في جميع أنواع الرحمة، يختصُّ به اللّهُ تعالى، والرحيمُ إنما هو مِن جهة المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: 43] وقال ابن عباس: هما اسمان رقيقان، أحدهما أرق من الآخر، أي أكثر رحمة. وقال الخطّابي: الرحيم لعلّه أرفق، كما في الحديث: «**إن الله رفيق يحبّ الرفقَ في الأمر كلّه، وإنه يُعطي على الرفق ما لا يُعطي على العنف**» (أخرجه البخاري). وقال ابن المبارك: الرحمٰن إذا سُئِلَ أَعْطَى، والرَحيمُ: إذا لم يُسْأَل يغضب، كما جاء في الحديث الذي أخرجه الترمذي في رواية أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن لم يَسْأَلِ اللّهَ يَغْضَبْ عليه**» وقال الشاعر يَعِظُ ابنَه:

لا تسألنّ بنيّ آدم حاجة وسَلِ الذي أرزاقه لا تنضبُ

اللهُ يغضبُ إن تركتَ سؤاله وترى ابن آدم حين يُسأل يغضب

بين الرحمةِ والشِدَّة

مُقدِّمة

إن الإسلامَ دينُ اللّهِ، وهو يدعو إلى الرحمة والصَفْح والعَفْوِ، ولكنه لا يُريدُ أن تكونَ هٰذه الرحمةُ مَرْتعاً للمُفْسِدينَ والمجرمين والظالمين، يَسْرَحُونَ ويمرحون في رحابها، ولا يسمحُ أن يَكون العَفْوُ ضَعْفاً يَسْتَغِلُه أعداءُ الإسلام فيطمعون فيه وفي أهله، أو حِصْناً يستغِلُه المجرمون والمفسدون يحميهم مِن حُكم العدالة فيهم، وهؤلاء يكون من رعاية المصلحة العامَّة أن يُحْجَزُوا عن الظلم والفساد، وأن يُعامَلوا المعاملة المناسِبَةَ لهم من الشِدَّة حتى لا يَتمادَوا في غَيِّهم وإفسادِهم، فإن لكل مَقامٍ مقالٌ.

مواضِعُ الرحمة ومواضع الشِدَّة

واللّهُ ﷻ بَيّن للمؤمنين مَواضِعَ الرحمة ومواضع الشِدَّة فقال في محكم كتابه المُبين: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: 28، 29].

ومعنى هٰذه الآيات: أن اللّهَ أرسلَ رسولَهُ محمداً ﷺ خاتَم النَبِيين بدِين الإسلام الناسِخ لجميع الشرائع قَبله، وأنزل عليه خاتم كتبه: القرآن الكَريم، وتَكَفَلَ بحفظه من التحريف والتَبديل والتلاعُبِ من البَشرِ بالزيادة أو النقصان إلى آخر الزمان، وأراد أن يكونَ الإسلامُ هو الدينُ العالَمِيُ الذي يَسُودُ البشريةَ، لأنه دينُ اللّهِ وليس فِكرَةً قوميةً أو عصبيَّة أو مِن صُنْع البشر كالرأسمالية والشيوعية والاشتراكية والديموقراطية، ولا يدعو لتغليب فئة على فئة، وليس له هدفٌ في

إخضاع الشعوب لنزواتِ أحد أو مَطامِع أَحَد، وإنما هو دَعْوَةٌ إلى عبادة الله ولمساواة العِبادِ جميعاً، فالكل لآدمَ وآدمُ مِن ترابٍ، وتفاضلهم إنما يكون بالتقوى، ولا فضل فيه لعربي على أعجمي، لجنس، أو عِرْقٍ، أو قومية، أو لَوْنٍ، أو غني، أو فقير، كما هو شائعٌ اليوم في العالَم، فالكلُ عِبادُ اللّه مُتساوون، وما داموا قد آمَنوا، فهم في شَرْعِهِ كأسنان المِشْطِ الواحِدِ، أُمَّةٌ واحِدَةٌ متماسِكَةٌ مترابِطَةٌ، فالإسلامُ يَسْعَى لِيَسُودَ جميعَ بلادِ العالَم؛ لأنه دينُ اللّهِ الذي ارتضاه لعباده، ويأمُرُ أهْلَه أن يُجاهِدُوا من أجله وليُوصلوا هٰذه الدعوة إلى جميع شعوب الأرض دونما توقُّف، وإذا وَقَفَتْ في وجهه أية قُوَّة أرضيَّة بشرية تمنع وصوله إلى سائر البشر وجب إزالَتُها، وعلى هٰذا بعث اللّهُ رسولَهُ محمداً ﷺ، وكفى بشهادة اللّهِ له أنه رسولُه، فلا يضره تكذيبُ جاحد أو شاكٍّ أو مُرْتَاب في نُبُوَّته ورسالته إلى جميع الخلق، وكَفى بتصديق اللّهِ له أنَّه رسولُه بقوله ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ﴾ وهو أصْدَقُ القائلين، ثمَّ أثنى عليه وعلى أصحابه الذين آمنوا به واتَّبَعُوه ونصروا دينه فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾. فهٰذه ينبغي أن تكون صِفاتُ المُؤمنين، لا كما نُشاهِدُه اليوم مِمَّن يَدَّعونَ الإسلام زوراً وبُهتاناً، فيُوالُون أعداءَ اللّهِ والدين، وينتمون لمحافلهم، ويَتَلَقَّوْنَ منهم التعليمات والأوامر بحرب المسلمين ومكافحتهم، بِحُجَجِ مكافحة الإرهاب، وفرض الأمن العالمي، ويصوِّرون لهم أن المسلمين وحدهم هم الخطرُ الوحيد في العالم على الأمن العالمي، وسلامة الناس، ويرتكبون المجازر، ويفتعلون التفجيرات التي تقتل الأبرياء، ثم يُلصِقون ذلك كُلَّه بالمسلمين، لِيَسْتَعْدُوا عليهم الرأي العام العالمي، ويُبَرِّروا حَرْبَهُم على اللّهِ ورسوله ودينه والمؤمنين، فينقلون على شاشات التلفزيون يومياً أخباراً من هٰذا النوع.

ولئن كانت هٰذه الأمور ظاهِرَةً لبعض المسلمين، فإنها خافية على السواد الأعظم منهم، ذلك أن معظم وسائِلَ الإعلام العالمية تديرها شركات يهودية معادية للمسلمين، تعمل جاهدة يومياً على تشويه صورة الإسلام، بنشر الكتب والأخبار والدعايات، والمجلات، وجميع ما أوتوا من طاقات، وليس للمسلمين مقابل ذلك وسيلة إعلامية واحِدَة تجلّي الحقائق، وتبيِّن الأمور الصحيحة من الكاذبة.

وهكذا فإن أعداء الإسلام يحاربونه بواسطة بعض أهله الذين انسلخوا من دينهم وجعلوا وَلاءهُم لأعداء اللّه، وانتموا لأحزابهم ومؤسساتهم وجمعياتهم ومحافلهم وأسّسوا في بلاد المسلمين جيوشاً أمنيّة، متعدّدة الأشكال والتدريبات، السريَّة والعلنية، ليس هدفها الدفاع عن الأوطان ضد العدو المحتل الغاشم، وإنما قمع الشعوب المسلمة التي تعادي واتهامها بالإرهاب وإثارة الفوضى والإخلال بالأمن.

وهٰذا خلاف ما أراده الله مِن عباده المؤمنين، فهو يدعو المسلمين إلى التراحم فيما بينهم، واستخدام الشِدَّة والغِلظة على الكافرين، وإن لم يكونوا كذلك استبدلهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [المائدة: 54]. فهذه صفة المؤمنين أن يكون أحدُهم شديداً على الكفار، رحيماً بَرّاً بالأخيار، غضوباً عَبُوساً في وجه الكافر، ضَحُوكاً بَشوشاً في وجه أخيه المؤمن، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [التوبة: 123] وقال ﷺ: «**مَثَلُ المؤمنين في توادِّهم وتراحُمِهم كَمثل الجَسَدِ الواحِدِ إذا اشتكى منه عُضْوٌ تداعَى له سائر الجَسَدِ بالحُمَّى والسَهَر**» (أخرجه الإمام مسلم) وقال ﷺ: «**المؤمِنُ للمؤمن كالبُنْيان يَشدُّ بعضُه بعضاً**» (أخرجه البخاري).

31 ــ الفتَّاح

معناه: صيغة الفتاح: مبالغة للفاتح، ومعناه: الذي يفتح خزائن رحمته للناس فيفتح لهم برحمته أبواب النصر، ومنه قوله تعالى في سورة الفتح ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾﴾ وهو ما فتح اللّهُ على رسوله بالنصر على أعدائه، كما فتح له أبواب الأرض، ويفتح لهم برحمته أبواب المعارف والعلوم النافعة، كما يفتح لهم أبواب كُلِّ خَير، قال الله تعالى في سورة فاطر: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [فاطر: 2]. ويفتح لهم رَحمته بالحكم بالحقّ، ومنه قوله تعالى حكاية لقولِ شعيب عليه السلام

والذين آمَنُوا معه في سورة الأعراف: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: 89]. أي: احكم بيننا وبينهم بالحق. وقد جاء في القرآن الكريم اسم الله الفتّاح في موضع واحد، قال الله تعالى في سورة سبإ: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾، كما جاء في الحديث الشريف الجامع لأسماء الله الحسنى.

أقوال العلماء في تفسيره

يَقول حجّة الإسلام الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الشافعي رَحِمَهُ اللهُ في كتابه «المَقْصِد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى» في شرح هٰذا الاسم: (الفتاح: هو الذي بعنايته يَنفَتِحُ كل مُنْغَلِقٍ، وبهدايته ينكشف كل مُشْكِلٍ، فَتارَةً يَفْتَحُ الممالِكَ لأنبيائه، ويُخرجُها مِنْ أيدي أعدائه، يقول تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾﴾ [الفتح: 1، 2].

وتارة يرفَعُ الحِجابَ عن قُلوب أوليائه، ويَفْتَحُ لهمُ الأبوابَ إلى ملكوت سَمائِهِ وجمال كِبْريائه، يقولُ تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ ومن بيده مفاتيحُ الغَيْب ومَفاتيحُ الرِزْقِ فبالحَرِيّ أنْ يكونَ فَتَّاحاً.

ينبغي أن يتعطّشَ العَبْدُ إلى أن يَصيرَ بحيث يَنْفَتِح بلسانه مغاليقُ المُشكلات الإلٰهيَّة، وأن يتيسَّر بمعرفته ما تعسَّر على الخلق من الأمور الدينيّة والدنيوية، ليكون له حظٌّ من اسم الفَتَّاحِ). انتهى كلام الغزالي.

ويَقولُ الإمام أبو السعادات مجد الدين المبارك بن محمد بن الأثير الجزري الشافعي رَحِمَهُ اللهُ في كتابه «النهاية في غريب الحديث» في شرح هٰذا الاسم: (في أسماء الله تعالى: الفَتّاحُ، هو الذي يفتح أبوابَ الرزْقِ والرحْمَةِ لعبادِه، وقيل: معناهُ: الحاكِم بينهم، يُقال: فتح الحاكِمُ بين الخَصْمَيْن إذا فَصَلَ بينهما، والفاتِحُ: الحاكِمُ، والفَتَّاح: مِن أبنية المبالَغة.

معناه في السنة

وفيه الحديث ـ الذي أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» عن عبد الله بن

عمرو بن العاص، قال: خرج علينا رسولُ اللَّهِ ﷺ يوماً كالمُوَدِّع فقال: «**أنا محمد النبي الأميّ**» ـ قاله ثلاثَ مرّات «**ولا نبيَّ بَعْدِي، أُوتيتُ فواتِحَ الكَلِم وخواتِمَهُ وجوامِعَهُ، وعَلِمتُ كم خَزَنَةُ النارِ وَحَمَلَةُ العَرْشِ، وتُجُوِّزَ بي، وعُوفيتُ، وعُوفِيَتْ أُمَّتِي، فاسْمَعوا وأطيعوا ما دُمْتُ فيكم، فإذا ذُهِبَ بي، فعليكم بكتاب اللَّهِ، أَحِلُّوا حَلالَه وحَرِّمُوا حَرَامَهُ**» ومعنى قوله: «**أوتيتُ فواتِحَ الكَلِمِ وخواتِمَهُ**»: أي: أُعْطيتُ ما يَليقُ به ابتداءَ الكلام وخَتْمَهُ مِنَ الحَمْدِ والثناء ونحوهما، ومعنى قوله: «**وجَوامِعَهُ**» أي: ما هو أجْمَعُ للمعاني، وقال ابنُ الأثير: يعني: القُرآنَ، جَمَعَ اللَّهُ بلُطفِهِ في الألفاظ اليَسيرَةِ منه معاني كثيرة، واحدها جامِعَةٌ، أي: كَلِمَةٌ جامِعَةٌ.

وفي الحديث الذي أخرجه الإمامُ مُسْلِمٌ في «صحيحه» عن أبي هريرة ﷺ قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: قال: «**بُعِثْتُ بجوامع الكَلِم، ونُصِرْتُ بالرُّعْبِ، وبَيْنا أنا نائمٌ أُتيتُ بِمَفاتيحِ خَزائِنِ الأَرْضِ فَوُضِعَتْ بَيْنَ يَدَيَّ**» أراد: ما سَهَّلَ اللَّهُ له ولأُمَّتِهِ مِن افتتاح البلاد المُتعذِّرات، واستخراج الكُنوز الممتنعات.

أقوال المفسّرين

قال الله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر: 2].

يُخبرُ اللَّهُ تعالى عبادَهُ أنه ما شاءَ كانَ، وما لم يَشأ لم يَكُنْ، وأنه لا مانِعَ لِما أَعْطَى، ولا مُعْطِيَ لِما مَنَعَ، أخرج الشيخان والإمامُ أحمد في مسنده، عن وَرّاد مولى المغيرة بن شعبة ﷺ قال: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَقولُ إذا انصرف من الصَّلاةِ: «**لا إله إلّا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شريكَ له، له المُلكُ ولهُ الحمدُ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، اللهمَّ لا مانِعَ لِما أعْطَيتَ، ولا مُعْطِيَ لِما مَنَعْتَ، ولا يَنْفَعُ ذا الجَدِّ مِنكَ الجَدُّ**»، وسمعتُهُ يَنْهَى عن قِيلٍ وقالَ، وكَثْرَةِ السُّؤالِ، وإضاعَةِ المالِ، وعن وَأْدِ البَناتِ، وعُقوقِ الأُمَّهات ومَنعٍ وهاتِ. وهٰذه الآيةُ كقوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس: 107] ولها نظائرُ كثيرة، ثم قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ

يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٣﴾﴾. يُنبِّهُ سبحانه وتعالى عبادَهُ ويُرشِدُهم إلى الاستِدْلالِ على توحيده في إفرادِ العِبادَة له، كما أنّه المُسْتَقِلُّ بالخَلْقِ والرزقِ، فكذلكَ فَلْيُفْرَدْ بالعِبادَةِ ولا يُشْرَكْ به غَيْرُهُ مِن الآلهة والأنداد، ولهٰذا قال تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٣﴾﴾ أي: فكيف تؤفكون بعد هٰذا البيان، وَوُضُوحِ هٰذا البُرهان، وأنتمُ بَعْدَ هٰذا تَعْبُدونَ الأندادَ والأوثان؟.

حَظّ العَبْدِ من هٰذا الاسم

إذا عَلِمَ العَبْدُ أن مفاتيح خزائن السمٰوات والأرض بيد اللّٰهِ وحده لا شريكَ له، التجأ إليه وحده، وطلب منه الرزق والفتح، ولم يلتجىء لسواه ولم يطرق أبواب غيره من المخلوقين الضعفاء العاجزين.

32 ــ اللطيف

معناه: أي خالق اللُّطفِ بعباده، وهو الرِفْقُ، فهو سبحانه يَلْطُفُ بهم من حيث لا يشعرون، ويَرْفُقُ بهم فيما تجري به المقادير. قال الله تعالى حكايةً عن قول سيدنا يوسف ﷺ: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [يوسف: 100].

وقد ورد هٰذا الاسم الكريم في سبعة مواضع من القرآن الكريم، وورد في الحديث الشريف الجامع لأسماء اللّٰهِ الحُسْنَى.

أقوال العلماء في تفسيره

يقول حجة الإسلام الإمام أبو حامد الغزالي في كتابه «المَقْصِدُ الأسنى في شرح أسماءِ اللّٰهِ الحسنى» في تفسير هٰذا الاسم: (اللطيفُ: إنما يستحق هٰذا الاسمَ مَن يَعْلَمُ دقائق المَصَالِح وغوامِضَها، وما دَقَّ منها وما لَطُفَ، ثم يَسْلُكُ في إيصالها إلى المُسْتَحِقّ سَبيلَ الرِفْقِ دُونَ العُنْف.

فإذا اجتمع الرِفْقُ في الفِعْلِ، واللُطْفِ في العلم، تَمَّ مَعْنَى اللُطْفِ. ولا يُتَصَوَّرُ كمال ذلك في العِلم والفِعْلِ إلّا لِلّهِ تعالى.

فأمَّا إحاطتُهُ بالدقائِق والخَفايا، فلا يمكنُ تفصيلُ ذلك، بل الخَفِيُّ مَكْشُوفٌ في علمه، كالجَلِيّ مِنْ غَيْرِ فَرْقٍ.

وأما رِفْقُهُ في الأفعالِ ولُطْفُهُ فيها، فلا يدخُلُ أيضاً تَحْتَ الحَصْرِ، إذْ لا يَعرفُ اللُطفَ في الفِعْلِ إلّا مَنْ عَرَفَ تفاصيل أفعاله، وعَرَفَ دقائِقَ الرِفقَ فيها، وبِقَدْرِ اتِّساعِ المَعْرِفَةِ فيها تَتَّسِعُ المَعْرِفَةُ بمعنى اسْمِ اللَّطيفِ. وشَرْحُ ذلك يستدعي تطويلاً، ثم لا يُتَصَوَّرُ أن يفي بِعُشْرِهِ عَشْرُ مُجَلَّدَاتٍ كبيرة، وإنما يمكن التنبيه على بعض جُمَلِهِ.

فَمِنْ لُطْفِهِ خَلْقُ الجَنينِ في بطَنِ الأُمّ في ظُلُماتٍ ثلاث، وحِفْظُه فيها، وتَغْذِيَتُه بواسِطَةُ السُرَّةِ إلى أن يَنْفَصِلَ فَيَسْتَقِلَّ بالتناوُلِ بالفَم، ثمَّ إلهامُه إيّاهُ عِنْدَ الانْفِصَالِ التِقَامَ الثَدْيِ وامْتِصَاصَهُ، ولو في ظلام الليلِ مِن غَير تعليم ومشاهدة، بل تلقَ البَيْضَةَ عن الفَرْخ وقد أَلْهَمَهُ التقاطَ الحَبِّ في الحال.

ثم تأخيرُ السِنّ عن أَوّلِ الخلقَةِ إلى وَقْتِ الحاجَةِ للاستغناءِ في الاغْتِذاءِ باللَبَنِ عن السنّ، ثم إنْباتُهُ السِنَّ بعد ذلك عند الحاجَةِ إلى طَحْنِ الطعام، ثم تَقْسِيمُ الأَسْنانِ إلى عَرِيضَةٍ لِلطَحْنِ والكسر، وإلى أنيابٍ لتمزيق اللحم، وإلى ثنايا حادَّةِ الأطرافِ للقَطْعِ، ثم اسْتِعْمالُ اللسانِ ـ الذي الغَرَضُ الأَظْهَرُ منه النُطْقُ ـ في ردِّ الطعام إلى المِطْحَنِ كالمِجْرَفَةِ.

ولو ذكرنا لُطْفَهُ في تَيْسِيرِ لُقْمَةٍ يتناوَلُها العَبْدُ مِنْ غير كُلْفَةٍ يَتَجَشَّمُها، وقد تعاوَنَ على إصلاحها خَلْقٌ لا يُحْصَى عَدَدُهم؛ مِنْ مُصلِح الأرضِ، وزارِعِها، وساقِيها وحاصِدِها، ومُنَقِّيها، وطاحنها، وعاجِنِها، وخابِزِها، إلى غيرِ ذلك لكان لا يُسْتَوْفَى شرحُه.

وعلى الجملة فهو مِن حيث دَبَّرَ الأُمُورَ حَكَمٌ. ومِن حيث أَوْجَدَها: جَوَادٌ، ومِن حَيْثُ رتَّبَها: مُصَوِّرٌ، ومِنْ حَيْثُ وَضَعَ كلَّ شيء في مَوْضِعِهِ: عَدْلٌ، ومن حيثُ لم يترك فيها دقائِقَ وُجُوهِ الرِفْقِ: لَطيفٌ، ولن يَعرِفَ حقيقةَ هذه الأسامي، مَن لم يَعْرِفْ حقيقةَ هذه الأفعالِ.

ومِن لُطْفِهِ بعباده أنه أعطاهُم فوق الكفايَةِ، وكَلَّفُهم دُونَ الطاقَةِ.

ومن لُطْفِهِ أنه يَسَّرَ لهم الوُصُولَ إلى سَعَادَةِ الأَبَدِ بِسَعْيٍ خفيفٍ في مُدَّةٍ قصيرةٍ وهي: العُمُرُ، فإنَّه لا نِسْبَةَ لها بالإضافَةِ إلى الأَبَدِ.

ومِن لُطْفِهِ إخراجُ اللَّبَنِ الصافِي مِن بَيْنِ الفَرْثِ والدَم، وإخراجُ الجَوَاهِرِ النَّفِيسَةِ مِنَ الأَحجار الصَّلْبَةِ، وإخراج العَسَلِ مِن النَحْلِ، والحرير من الدُودِ، والدُّرِّ مِنَ الصدَفِ، وأَعْجَبُ من ذلك كلِّه خَلْقُهُ الإنسانَ مِنَ النُطْفَةِ القَذِرَةِ وَجَعْلُهُ مُسْتَوْدَعاً لِمَعْرِفَتِهِ، وحاملاً لأمانته، ومُشاهِداً لِمَلَكوت سماواته، وهٰذا أيضاً رِفْقٌ لا يُمْكِنُ إحْصَاؤه.

حَظُّ العَبْدِ مِن هٰذا الاسم

حَظُّ العَبْدِ مِن هٰذا الوصف: الرِفْقُ بِعِبادِ اللَّهِ تعالى، والتَلَطُّفُ بهم في الدَعْوَةِ إلى اللَّهِ، والهِدَايَةِ إلى سَعادَةِ الآخِرَةِ من غيرِ ازْدِراءٍ وعُنْفٍ، ومِن غير خِصَام وتَعَصُّبٍ. وأَحْسَنُ وُجُوهِ اللُّطْفِ فيه الجَذْبُ إلى قبول الحق بالشمائل والسِيرَةِ المرْضِيَّةِ، والأعمالِ الصالحة، فإنها أَوْقَعُ وأَلْطَفُ من الأَلْفَاظِ المُزَيَّنَةِ) انتهى كلام الغزالي.

ويقول الإمام مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: «النهاية في غريب الحديث» في تفسير هٰذا الاسم: (اللطيفُ في أسماء الله تعالى: هو الذي اجْتَمَعَ له الرِفْقُ في الفِعْلِ، والعِلْمُ بِدَقائِقِ المَصَالِحِ، وإيصالُها إلى مَن قَدَّرَهَا لَهُ مِن خَلْقِهِ، يُقالُ: لَطَفَ به، ولَهُ - بالفتح - يَلْطُفُ لُطفاً: إذا رَفَقَ به، فأمّا لَطُفَ - بالضمّ - يَلْطُفُ فمعناه: صَغُرَ وَدَقَّ، وفي حديثِ الإفكِ الذي أخرجَهُ البخاري في صحيحه في كتاب الشهادات عن السيدة عائشةَ أمِّ المؤمنين: «ولا أَرَى مِنْهُ اللُّطفَ الذي كُنْتُ أَعْرِفُه» أي: الرِّفقُ والبرُّ.

33 ــ الرؤوف

معناه

مأخوذ من الرَّأْفة، وهي شِدَّةُ الرَّحْمَةِ، فالمُرادُ مِن الرَؤوفِ: أنه سبحانه هو المُنْعِمُ بجَلائِلِ النِعَمِ ودقائقها. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ

﴿رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: 2/ 143]. وقد وَرَدَ في القرآن الكريم في أَحَدَ عَشَر مَوْضِعاً، لكنه في مَوْضِعٍ واحِدٍ جاءَ صِفَةً للنبي محمد ﷺ، وهو قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: 9/ 128]. كما وَرَدَ اسمُ الله الرؤوفُ في الحديث الجامع لأسماء الله الحسنى، الذي أخرجه الترمذي وابن ماجه.

أقوال اللغويين في تفسيره

قال الفرَّاء: الرَّأْفَةُ: الرَّحْمَةُ، وقال الزجَّاجُ: مَعْنَى ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾ أي: لا تَرْحَمُوهُما، فَتُسْقِطُوا عنهما ما أَمَرَ اللّهُ به مِنَ الحَدِّ. وقال الأزهري: ومِن صِفاتِ اللّهِ عَزَّ وجَلَّ: الرَّؤوفُ، وهو: الرَّحيمُ، والرَّأْفَةُ أَخَصُّ مِنَ الرَّحْمَةِ وأَرَقُّ. وفيه لُغَتانِ قُرِىءَ بهما معاً: رَؤُوفٌ على وزن (فَعُول)، ورَؤُفٌ على وزن (فَعُلٍ)، وقد رَأَفَ يَرْأَفُ إذا رَحِمَ. وقال أبو زيد: يُقالُ: رَؤُفْتُ بالرجُلِ أَرْؤُفُ به، ورَأَفْتُ أَرْأَفُ به، كُلٌّ مِنْ كَلَامِ العرب. وقال أبو بكر ابن الأنباري: ويُقال: رَأْفٌ ـ بسكون الهمزة ـ وأنشد:

فَـآمِـنُـوا بِـنَـبِـيٍّ لا أبـاً لَـكُـمُ ... ذي خـاتَـمٍ صَـاغَـهُ الـرَّحْـمٰـنُ مَـخْـتُـومُ
رَأْفٌ رَحِـيـمٌ بِـأَهْـلِ الـبِـرِّ يَـرْحَـمُـهُـمْ ... مُـقَـرَّبٌ عِـنْـدَ ذي الـكُـرْسِـيِّ مَـرْحُـومُ

أقوال العلماء في تفسيره

قال حجّةُ الإسلام الإمام أبو حامد الغزالي في كتابه: «المَقْصِد الأسنى في شرح أسماءِ اللّهِ الحُسْنَى» في تفسير هٰذا الاسم: (الرؤوفُ: ذو الرَّأْفَةِ، والرَّأْفَةُ: شِدَّةُ الرَّحْمَةِ، فهو بمعنى: الرَّحيمِ مع المبالَغَةِ).

وقال الإمام مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري الشافعي في كتابه: «النهاية في غريب الحديث والأثر» في تفسير هذا الاسم: (الرؤوف في أسماء الله تعالى: هو الرحيم بعباده، العَطُوفُ عليهم بِأَلْطافِهِ، والرَّأْفَةُ أَرَقُّ مِنَ الرَّحْمَةِ، ولا تكادُ تَقَعُ في الكَراهَةِ، والرحمةُ قَدْ تَقَعُ في الكَراهَةِ للمَصْلَحَةِ، وقد رَأَفْتُ به أَرْأَفُ، ورَؤُفْتُ أَرْؤُفُ، فأنا رَؤوفٌ).

أقوال المفسّرين في تفسيره

يقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾ [آل عمران: 29، 30].

يُخْبِرُ تبارَكَ وتعالى عِبادَهُ أنه يَعْلَمُ السرائِرَ والضمائِرَ والظواهِرَ، وأنه لا يَخْفَى عليه منهم خافِيَةٌ، بل عِلمُهُ مُحيطٌ بهم في سائر الأحوال، والأزمانِ، والأيام، واللحظات، وجميع الأوقات، وجميعُ ما في الأرض والسمٰوات، لا يغيبُ عنه مِثقالُ ذَرّةٍ ولا أَصْغَرُ مِنْ ذلك في جميع أَقْطارِ الأرضِ والبحارِ والجبال.

﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: وقُدْرَتُهُ نافِذَةٌ في جميع ذلك، وهٰذا تنبيهٌ منه لِعِبادِهِ على خَوْفِهِ وخَشْيَتِهِ لِئَلَّا يرتكِبُوا ما نَهى عنه، وما يُبْغِضُهُ منهم، فإنه عالم بجميع أُمورِهم، وهو قادِرٌ على معالجتهم بالعُقوبَةِ، وإن أَنْظَر ـ أي: أَخَّر وأَجَّلَ وأَمْهَلَ ـ من أَنْظَر منهم، فإنه يُمْهِلُ ثم يَأْخُذُ أَخْذَ عَزيزٍ مُقْتَدِرٍ، ولهٰذا قال بعد هٰذا:

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ الآية، يعني: يوم القيامة يحضر للعبد جميع أعماله من خير أو شرٍّ كما قال تعالى: ﴿يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: 13] فما رأى من أعمالِهِ حسناً سَرَّهُ ذلك وأفرحه، وما رأى من قبيح ساءه وغَصَّهُ، ووَدَّ لو أنه تبرّأ منه، وأن يكون بينهما أمدٌ بعيدٌ، كما يقولُ لشيطانه الذي كان مَقروناً به في الدنيا وهو الذي جرَّأه على فعل السوء ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾﴾ [الزخرف: 38].

ثم قال تعالى مؤكّداً ومهدِّداً ومُتوعِّداً: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ أي: يُخَوِّفُكُمْ عقابَهُ، ثم قال جَلَّ جَلالُه مُرَجِّياً عِبادَه لِئَلا ييأسوا مِن رحمته، ويَقْنَطوا من لُطْفِهِ: ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ قال الحسن البصريُّ: من رأفَتِهِ بهم حَذَّرَهم نَفْسَهُ. وقال غيره: أي: رحيمٌ بخلقه يحبّ لهم أن يستقيموا على صِراطِه المستقيم ودينه القويم وأن يَتَّبِعُوا رسوله الكريم.

ثم قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: 31]، هٰذه الآية الكريمة حاكمةٌ على كل مَن ادَّعى مَحبَّةَ اللَّهِ مِن عِبادِهِ يهودياً كان أو نصرانياً أو مسلماً، وليس هو مُتَّبعٌ للنَّبيِّ محمدٍ ﷺ فيما أُنْزِلَ عليه من ربه من القرآنِ والوحي والشرع، وليس هو على الطَّريقة المحمَّديَّة، فإنه كاذِبٌ في دعواه في نفس الأمر حتى يؤمِنَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ أنه نبيٌ وأنَّه رسولُ اللَّهِ، جاء بالحقِّ والصدقِ من عند الله، ويَتَّبعَ الشرعَ المحمَّدِيَّ والدينَ النبويَّ في جميع أقوالِهِ وأفعالِهِ، ولهٰذا قال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ﴾، أي: يَحْصَلُ لكم فَوقَ ما طلبتم مِن مَحَبَّتِكم إياه، وَهُوَ مَحبَتُه إياكُمْ، وهو أعظمُ مِنَ الأَوَّل. قال بَعْضُ الحكماءِ: لَيْسَ الشَّأْنُ أن تُحِبَّ، وإنما الشَّأْنُ أن تُحَبَّ.

ثم قال تعالى: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي باتّباعكم الرسولَ ﷺ يحصل لكم هٰذا مِن بركةِ سَفارَتِهِ، ثم قال تعالى آمِراً لكلِّ أحَدٍ من خاصّ وعامّ: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ أي: تخالِفُوا عن أمره ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ فدلَّ على أن مخالفته كُفْرٌ، واللَّهُ لا يحبُّ مَن اتَّصفَ بذلك، وإن ادَّعى وزعم في نفسه أنّه محبٌّ لله وَيتقرّب إليه حتّى يُتابعَ الرسولَ النبيَّ الأُمّيَّ محمداً ﷺ خاتمَ الرُّسُلِ ورسول اللَّهِ إلى جميع الثقلين الجنّ والإنس، الذي لو كانَ الأنبياءُ بل المُرْسَلُونَ أولوا العَزْمَ منهم في زمانِه ما وسعَهُم إلّا اتباعُه والدخولُ في طاعته، واتباعُ شريعته، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [آل عمران: 81، 82].

34 ــ الودود

معناه

مأخُوذ من الوُدِّ، وهو الحُبّ. ومحبَّةُ اللَّهِ خاصَّةٌ بِصِنْفٍ مِن عباده، وهم

المؤمنون الطائعون، قال الله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: 54] والمُراد مِن مَحَبَّةِ الله لعبده: زيادَةُ إنعامِهِ عليه، بِجَعْلِهِ مِن أهل القُرْبى عنده.

ويتضمَّن معنى الوُدِّ مِن الإنعام ما لا يتضَمَّنْهُ معنى الرحمةِ أو الرأفةِ، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴿١٤﴾﴾ [البروج: 14].

وقد ورد هٰذا الاسم الكريم في موضعين فقط من القرآن الكريم، أوّلهما في سورة البروج المُتقدِّم، والثاني في قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴿٩٠﴾﴾ [هود: 90]، كما ورد بصيغة الفعل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴿٩٦﴾﴾ [مريم: 96]، وورد أيضاً في الحديث عن أبي هريرة ﷺ المتضمنِ أسماءَ الله الحُسْنى، الذي أخرجه الإمامان الترمذي وابن ماجه.

معناه في اللغة

قال الليثُ: (الوُدُّ): مَصْدَرٌ للمَوَدَّةِ، وكذلك الوِدَاد. وقال الفَرَّاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴿٩٦﴾﴾ [مريم: 96] قال: في صُدور المُؤمنين. وقال ابنُ الأنباري: الوَدُودُ: مِن أسماءِ اللّهِ عزّ وجلّ: المُحِبُّ لِعِبَادِهِ، مِنْ قَوْلِكَ: وَدِدْتُ الرَّجُلَ أَوَدُّهُ وِدّاً وَوِدَاداً. نقله الأزهري في تهذيب اللغة.

أقوال العلماء

قال حُجَّةُ الإسلام الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الشافعي في كتابه «المَقْصِد الأَسْنَى في شرح أسماء الله الحسنى» في تفسير الودود: (هو الذي يحبُّ الخَيْرَ لجميع الخلقِ، فيُحْسِنُ إليهم، ويُثْنِي عليهم. وهو قريب مِن معنى: الرحيم، لكنّ الرحمةَ إضافةٌ إلى مَرْحُوم، والمَرْحُومُ: هو المحتاجُ والمُضْطَر، وأفعالُ الرحيم تَسْتَدعي مَرْحوماً ضعيفاً، وأفعالُ الوَدودِ لا تَسْتَدعي ذلك، بل الإنعامُ على سَبيلِ الابتداءِ مِنْ نتائج الوُدِّ.

وكما أنَّ معنى رَحْمَتِهِ تعالى إرادَتُهُ الخَيْرَ للمَرْحومِ، وكفايَتُه له، وهو مُنَزَّهٌ

عَنْ رِقَّةِ الرَّحْمَةِ، فكذلك وُدُّه إرادَتُهُ الكرامَةَ والنِعْمَةَ، وهو مُنَزَّهٌ عن مَيْلِ المَوَدَّةِ، فالمَوَدَّةُ والرَّحْمَةُ لا تُرادانِ في حقِّ المَرْحُوم والمَوْدُودِ إلّا لِثَمرَتِهما وفائِدَتِهما، لا للرِقَّةِ والمَيْلِ. فالفائدةُ هي لُبابُ الرحْمَةِ والمَوَدَّةِ. وذلكَ هو المُتَصَوَّرُ في حقِّ اللَّهِ تعالى دون ما هو مُقارَنٌ لهما وغيرُ مَشْرُوطٍ في الإفادَةِ.

والوَدُودُ مِن عِبادِ اللَّهِ مَنْ يُريدُ لِخَلْقِ اللَّهِ كلَّ ما يُرِيدُهُ لنفسه، وأعلى مِن ذلك مَنْ يُؤثِرُهُم على نفسه، وكَمالُ ذلكَ أن لا يَمْنَعُه عن الإيثار والإحسان: الغَضَبُ والحِقدُ، وما نالَهُ مِن الأذى، كما قال رسولُ اللَّهِ ﷺ لمّا أكثرت قُرَيْشٌ إيذاءَهُ وضَرْبَهُ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لقَوْمِي فإنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُون**» (أخرجه البخاري) فلم يمنعه سُوءُ صَنيعهم عن إرادتِه الخَيْرَ لَهُم، وكما أَمَرَ ﷺ عَلِياً حيثُ قالَ: «**إنْ أرَدْتَ أن تَسْبِقَ المُقَرَّبِينَ فَصِلْ مَن قَطَعَكَ، وأعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ**») انتهى كلام الغزالي.

وقال الإمام مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري في كتابه: «النهاية في غريب الحديث والأثر» في تفسير اسم الله الودود: (هو فَعُولٌ بمعنى مَفْعُولٌ، مِن الوُدِّ وهي: المَحَبَّة. يُقالُ: وَدِدْتُ الرَّجُلَ أَوَدُّهُ وُدّاً: إذا أَحْبَبْتُهُ، فاللَّهُ تعالى مَوْدُودٌ، أي: مَحبُوبٌ في قُلوبِ أَوْليائِهِ، أو هو فَعُولٌ بمعنى: فاعِلٍ أي: إنه يُحِبُّ عِبادَهُ الصالحين، بمعنى: أنه يَرْضَى عنهم). انتهى كلام ابن الأثير.

وفيه حديث ابن عمر ﷺ الذي أخرجه الإمامُ مسلمٌ في صحيحه، في كتاب البرّ والصِلةِ عن رسول الله ﷺ: «**إنَّ أَبَرَّ البِرّ صِلَةُ الوَلَد أهلَ وُدِّ أَبيهِ**». قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم: (وفي هذا فَضْلُ صِلَةِ أصدِقاءِ الأب، والإحسانِ إليهم، وإكرامِهِم، وهو مُتَضَمِّنٌ لبرّ الأب وإكرامِهِ؛ لكونه بِسَبَبِهِ، ويَلتحق به أصدقاء الأم، والأَجْدادِ، والمشايخ، والزوج، والزوجة، وفي الحديث أن رسولَ الله ﷺ كان يكرِمُ خلائِلَ خديجَةَ ﷺ).

أثر أسماء الله المتعلّقة بالرحمة على العبد

مَن يلاحِظُ باستمرار ـ ملاحَظَة تَحقُّقٍ وتَبَصُّرٍ ـ ما تدلُّ عليه أسماءُ اللَّهِ

(الرحمٰنُ، الرحيمُ، الفتاحُ، اللطيفُ، الرؤوفُ، الوَدودُ). ويُلاحِظُ مع ذلك أنَّ اللَّهَ تعالى هو القادِرُ الذي لا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، فإنَّهُ لَا بُدَّ أن يكونَ دائِمَ الالتماسِ لِرَحَماتِ اللَّهِ بالدُعاءِ لهُ، والتَوسُّلِ إليه بمُخْتَلِفِ الأعمالِ الصالِحة. ليكونَ أهلاً لرحماتِ اللَّهِ وفتوحاتِهِ، وألْطافِهِ ورأفتِهِ به، ثم ليكون أهلاً لِحُبِّ اللَّهِ ووُدِّه له، وبذلك يَرْقَى إلى غاياتِ درجات القرب والمعرفةِ والاصطفاء.

وحَظُّ العبدِ المسلم المؤمِن باللَّهِ مِن هٰذه الأسماء: أن يتخلَّقَ بشيءٍ ممّا تَدُلُّ عليه، قدر الاستطاعَةِ البشرية، فيكونَ رحيماً بخَلقِ اللَّهِ، مؤيِّداً لأهل الحق، ناصِراً لأوْلِياءِ اللَّهِ، لطيفاً في مُعاملاته لِخَلْقِ اللَّهِ، رَفيقاً بهم، مملوءَ القَلْبِ بالرأفَةِ والرَّحمَة، مُحبّاً للَّهِ، ومُحِباً لِكُلِّ مَنْ يُحِبُّهُمُ اللَّهُ، ولكل ما يُحِبُّهُ اللَّهُ، فلا يُوالي أعداءَ اللَّهِ وأهل المعاصي ويحبّهم ولا يُجالِسهم ولا يجانِسُهم، فإنّ مَن أحبَّ قوماً حُشِرَ معهم، بل يُوادِدُ أحْبابَ اللَّهِ وأولياءَه وأهل طاعته، ويُواليهم، ويعتصم بهم ويتقوّى بهم. قال الله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: 1 ـ 3].

المَحَبَّة والإيثار

لمن تكون المحبَّة؟

الأصلُ في المحبةِ محبَّةُ الإنسانِ رَبَّهُ خالِقَهُ ورازِقَهُ. وبقدر درجته في المعرفة تكون درجته في المَحَبَّة، ولهٰذا كان رسولُ اللَّهِ ﷺ أشَدَّ الناس حُبّاً لِلَّهِ؛ لأنه كان أعْرَفَهم به تعالى. قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝٥٤﴾ [المائدة: 54].

ومِن تمام المحبَّة للَّهِ تعالى عند المسلم مَحبَّةُ النبي ﷺ، فليْسَ أحَدٌ بَعْدَ اللَّهِ تعالى أَمَنَّ على المسلمين في هدايَتِهم وسعادتهم منه ﷺ، لذلك قُرِنَتْ مَحبَّةُ الرسولِ ﷺ بمحَبَّةِ اللَّهِ في كثيرٍ من آياتِ القرآنِ الكريم، ونصوصِ الحديثِ النبويِّ الشريفِ، وقد وَرَدَ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ في الحديث الذي أخرجه الإمامُ الترمذي

في «سننه» أنه قال: «**أَحِبُّوا اللَّهَ لما يَغْذُوكُم مِن نِعَمِهِ، وأَحِبُّونِي بِحُبِّ اللَّهِ**». وقال ﷺ: «**لا يؤمِنُ أَحَدُكم حتى أكونَ أَحَبَّ إليه من نفسه وولده ومالِهِ**» (أخرجه البخاري ومسلم).

ومِن فُروعِ مَحَبَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ: مَحَبَّةُ أصحابه الذين عَزَّرُوهُ ونَصَرُوه، واتَّبَعُوا النورَ الذي أُنْزِلَ معه، والذين بَذَلُوا أرواحهم وأولادهم وكلَّ غالٍ وَنفيسٍ في سبيل الله، ولإعلاء كلمة الحق والدين، حتى وصل إلينا هٰذا الدينُ عزيزاً في الأرض، قال رسول الله ﷺ: «**الله الله في أصحابي** ـ أي أوصيكم الله فيهم ـ **لا تتَّخِذوهم غَرَضاً بعدي** ـ مَنَعَ من قذفهم وشتمهم وسبّهم ـ «**فَمَن أَحَبَّهم فبِحُبّي أَحَبَّهم، ومَن أَبْغَضَهُم فبِبُغْضي أَبْغَضَهم، ومَن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى اللَّهَ، ومَن آذى اللَّهَ يوشِك أن يأخُذَه**».

ومِن فُروعِ مَحَبَّةِ اللَّهِ ورسولِه أيضاً: مَحَبَّةُ المُؤمنينَ في اللَّه تعالى، تلك المَحَبَّةُ التي تُؤَلِّفُ القُلُوبَ، وتوحِّدُ الصُفُوفَ، وقد شَبَّه النبيُّ ﷺ المُؤمنين في تَوادِّهم وتَعَاطُفِهِم وتراحُمِهم بالجَسَدِ الواحِدِ، إذا اشتكى منه عُضْوٌ تداعَى له سائِرُ الجَسَدِ بالسَهَرِ والحُمَّى، وهم بَعْضُهم لِبَعْضٍ نَصَحَةٌ مُتَوادُّونَ، ولو ابتَعَدَتْ مَنازِلُهم، بينما المنافِقون بعضُهم لبعض غَشَشَةٌ مُتحاسِدُون، ولو اقْتَرَبَت مَنازِلُهم.

المحبة علامة الإيمان

وقد جعل رسولُ اللَّهِ ﷺ مَحَبَّةَ المؤمنين في اللَّهِ تعالى علامَةً على صِحَّةِ الإيمان، بل شرطاً له، أخرج الإمامُ مسلم في «صحيحه» عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنه قال: «**والذي نَفْسِي بيده، لا تَدْخُلُونَ الجنَّة حتى تُؤْمِنُوا، ولا تُؤْمِنُوا حتى تَحابُّوا**». وأخرج عنه أيضاً: «**لا يُؤمِنُ أَحَدُكُم حَتَّى يُحِبُّ لأَخِيه** ـ أو قالَ لجارِهِ ـ **ما يُحبُّ لنفسه**». وأخرج الحاكم في «المستدرك» عنه أنه قال: «**أَوْثَقُ عُرَى الإيمان: المُوالاةُ في اللَّهِ والمُعادَاةُ في اللَّهِ، والحُبُّ في اللَّهِ، والبُغْضُ في الله عزَ وجَلَّ**». وأخرج الترمذي في «سننه» عنه أنه قال: «**كان من دعاء داود يقولُ: اللَّهُمَّ إني أسألكَ حُبَّكَ، وحبَّ مَن يُحِبُّكَ، والعَمَلَ الذي يُبَلِّغُني حُبَّك، اللهمَّ اجعل حُبَّكَ إليَّ أحبَّ إليَّ مِنْ نَفْسِي وأَهْلِي، ومِنَ الماءِ البارد**».

ثمار المحبة

ومِن ثمارِ المَحَبَّةِ بين المؤمنين: التَراحُمُ والتكافُلُ وتَنْفِيسُ الكُرُوبِ والمُوَاساةُ والتعاوُنُ على صَلاحِ الدُنيا والآخِرَة، أخرج الإمام أحمد في «مسنده» قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِن كُرَبِ الدُنيا، نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيامَةِ، ومَن سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ اللَّهُ في الدُنيا، ومَنْ يَسَّرَ على مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عَليهِ في الدنيا والآخرة، واللَّهُ في عَوْنِ العَبْدِ ما كانَ العَبْدُ في عَوْنِ أخيه**».

وأَعظَمُ ثَمَراتِ المَحَبَّةِ في اللَّهِ تعالى وأعلاها مَرْتَبَةً، الإيثارُ والتَضْحِيَةُ في سبيل إسْعَادِ الآخَرِينَ، والحَقُّ أَنَّ أواصِرَ المَحَبَّةِ في اللَّهِ، والإيثار هي التي جَمَعَتْ بين المسلمين أَوَّلَ مَرَّة وعليها اعْتَمَدَ رسولُ اللَّهِ ﷺ في تأسيسِ أُمَّةٍ رَفيعةِ العِمَادِ وَطِيدَةِ الأركان.

كانت المدينةُ المُنَوَّرة مُهاجَرَ المسلمينَ الأوائِلِ، وقد احْتَضَنَتْ أهلها الأنصارَ، والمهاجرين إليها من مكة على تبادُلِ الحُبِّ والاحترام والإيثار عن سماحة رائعة. وقد سَجَّلَ اللَّهُ تعالى في القرآن الكريم الثناءَ على الأنصار الذي ضَرَبُوا مِثالاً رائعاً في المَحَبَّةِ والإيثارِ، إذْ قاسَمُوا إخوانَهم المهاجِرين الذين تركوا أهاليهم ووطنهم وبيوتهم وتجاراتهم في سبيل اللَّهِ، قاسَمُوهُم بُيُوتَهم ومَزارِعَهُم وأموالهم، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر: 9]. وأخرج الإمامُ البخاري في «صحيحه» عن عبد الرحمٰن بن عوفٍ ﷺ أنه قال: «لمّا قَدِمْنا المدِينةَ آخى رَسولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنِي وبين سعد بن الرَّبيع، فقال سَعْدُ بنُ الرَّبيع: إنّي أكثرُ الأنصارِ مالاً فَأَقْسِمُ لك نِصْفَ مالي، وانظُرْ أَيَّ زَوْجَتَيَّ هَوِيتَ نَزَلْتُ لك عنها، فإذا حَلَّتْ تَزَوَّجْتَها، فقال: بارك اللَّهُ لك في أهلِكَ ومالِكَ، دُلُّونِي على السُّوقِ». فقد قابَلَ عبد الرحمٰن هذا الإيثار بعفافٍ كريم.

إنّ الدنيا لم تشهد حُبّاً كريماً يَعْلُو على الشَّهْوَةِ والمصلحة والمنفعة، كالحبِّ الذي أَرْسَى الإسلامُ ركائِزَهُ بين المسلمين، حتى كان الرجُل منهم يُحِبُّ

لأخيه ما يُحِبُّ لنفسه، ويَبْذُلُ له من ذاتِ يَدِه، ومِن جُهْدِهِ ووقته ما يَبْذُله لأَعَزِّ بنيه عليه، وأحبِّ أهله إليه وقد يَرْتَقِي الحبُّ بأحَدِهم، فَيُؤْثِرُ أخاهُ على نفسه، فيجودُ له بالشيء وهو أحْوَجُ ما يكون إليه.

رُوِيَ عن أم المُؤمنين عائِشة ﷺ أن مِسْكيناً سألها وهي صائمةٌ، وليس في بيتها إلّا رَغيفٌ، فأمرت جارية لها أن تُعْطِيَهُ الرغيفَ، فقالَت الجاريَةُ: لَيْسَ لكِ ما تُفْطِرين عليه! فقالَتْ: أعْطِهِ إيّاهُ، ففعلت.

وبَعَثَ الخليفة الجليل معاوِيَةُ بن أبي سُفْيان ﷺ بثمانين ألفَ دِرْهَم إلى السيدةِ عائشةَ أم المؤمنين ﷺ، وكانت صائمةً، وعليها ثوبٌ خَلَقٌ ـ أي: قد بَلِيَ ـ فوزّعتْ هٰذا المالَ من ساعَتِها على الفقراءِ والمساكينِ، ولم تُبْقِ منه شيئاً، فقالت لها خادمتها: يا أم المؤمنين! ما اسْتَطَعْتِ أن تَشْتَري لنا لحماً بِدِرْهَمٍ تُفْطِرينَ عليها؟ فقالَتْ: يا بُنَيَّة! لو ذَكَّرتِني لفعلتُ.

وضدُّ الإيثار خُلُقٌ ذميمٌ وهو: الأنانية (الأثرة)، تلك الغريزة التي تدعو إلى الاستئثار بالخير، والتَنَكُّر للغير، وتدفَعُ البَشَرَ إلى التنافُس على الدنيا ومَتاعِها، وبلتالي تدفَعُهم إلى الخِصامِ والتنازُع، وجُحُودِ ما عليهم من حَقٍّ، وأكل أَمْوالِ الناسِ بالباطل، لذلك فقد حارَبَها الإسلامُ، ودعا إلى الحُبِّ والإيثار، وعني بتَنمِيَتِهما في المجتمع؛ لأنهما أساسه المتين، وسبب قوّته وتماسكه وترابطه وتكافُلِهِ.